قلوب عبير

مارغريت بارغيتر

الرّاج

www.elromancia.com

مرمورية

ق ٢١

قلوب عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. K 21

الرّابح

لينسي براون تعرف ان المستقبل جدار والماضي يجذبها اليه كهوّة من الرمال المتحركة. حاضرها مهدد من كل جانب، وخصوصاً من قبل زوجها جرفيس بارادين الذي ارتبطت به وهي صغيرة لا تفقه شيئاً، بريئة كالحمامة البرية. ووجدت نفسها مدفوعة للهرب كأنه طريق الخلاص الوحيدة.

لم يكن في يوم من الايام مغرماً بها، هذا الرجل المجرّب الذي يعرف الدنيا ويعرف ماذا يريد. بعد سنوات من الفراق وجدت نفسها وجهاً لوجه معه، وحاولت بأي ثمن ان تخفي عنه حقيقة لا يعرف عنها شيئاً، الكنز الوحيد الذي ينير حياتها التائهة. وهي مستعدة ان تدافع عنها بكل ما تملك من أسلحة، حتى التضحية بنفسها...

لبنان	١٢ ل.ل.	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	٨٠٠م
سورية	١٢ ل.س	الامارات	١٢ د	تونس	١،٥٠٠ د	U.K.	£ 150
الأردن	٨٠٠ ف	البحرين	١،٥٠٠ د	ليبيا	١ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٢ ر	المغرب	٥ د	Greece	Drs 200
السعودية	١٢ ر	عمان	١،٥٠٠ ر	مصر	١٧٥ ق	Cyprus	P 150

١ - لينسي براون حائرة. ماذا تفعل؟ جرفيس لا يزال مسيطراً على عواطفها. وكانت تظن ان سنوات الفراق جعلت ذلك غير وارد. الا ان ظنها هذا لم يكن، كما يبدو، في محله...

كان جرفيس بارادين واقفاً على ظهر اليخت الكبير الراسي بعيداً في الميناء، وذلك في الصباح الثاني لوجود اليخت في تلك البقعة الطبيعية الرائعة الجمال.

وكان جرفيس يعي ان بحارته يتساءلون لماذا اطال الرسو بيخته هناك وهو الذي لا يستقر على حال، اكثر من اربع وعشرين ساعة، الا اذا كان منهمكاً في عمله ومنصرفاً بكليته اليه.

وحدق جرفيس الى الجزيرة البعيدة التي بدت كأنها لؤلؤة على صدر المحيط الهندي الجميل. وكانت الفتاة على الشاطىء مرة اخرى، وهي الفتاة ذاتها التي شاهدها هناك من قبل. واستدل على ذلك من الثوب الذي كانت ترتديه، ومن الشعر الطويل الذي كانت تتلاعب به الريح حول رأسها الصغير.

وتنفس جرفيس نفساً عميقاً وهو يتناول منظاره الالماني الصنع الذي لم يستعمله البارحة للتأكد مما كان يراه، بل تجنبه كطفل خشي ان يفتح هديته لئلا يجدها غير ما كان يحلم به ويتمناه. وهكذا آثر ان ينفق بقية النهار في التفكير تفكيراً عنيفاً وقاسياً، يحمله عليه الدافع الى الثأر. وكأنه كان يتوقع حدوث ما لم يكن في الحسبان، فلم يغمض له جفن في تلك الليلة، مما جعله يخرج الى ظهر اليخت في الصباح الباكر.

وكان قطع الأمل، منذ وقت بعيد، من العثور عليها. اما الآن،

فعاد اليه الأمل دونما اي شعور بالفرح. فاذا كانت تلك الفتاة هي لينسي بالفعل، فسيجعلها تدفع ثمن ما فعلته به، مهما كلفه الأمر.

رفع منظاره واخذ يمعن النظر في هيئة الفتاة التي كانت وحدها على الشاطىء، فتبينها كأنها كانت امامه. وصعق من الدهشة وعلا وجهه الاصفرار، الا انه احتفظ برباطة جأشه. ثم وضع المنظار جانباً وامر البحارة بأن ينزلوا له قارباً صغيراً الى الماء.

وكان البحر رائع الزرقة، والهواء عليلاً منعشاً في ذلك الصباح الباكر. وكانت لينسي تراقب البحر من دون ان تراه في واقع الأمر، ذلك لأنها كانت متعبة في ذلك الصباح، الى حد حال بينها وبين تقدير جماله. ومع انها لم تكن تعرف سبباً معقولاً لشعورها بالتعب والارهاق، الا ان ذلك لم يجعلها اكثر سروراً. وتساءلت لماذا انقلبت حياتها رأساً على عقب، بعد فترة طويلة من الهدوء النسبي، ولم يكن في ذلك عدل ولا انصاف؟ وحين فكرت في المشكلات التي تنتظرها، غشيت العتمة عينيها الزرقاوين.

تنهدت لينسي وهي تغطي وجهها بيديها، في محاولة لمنع تداعي الصور الفكرية القاتمة التي في ذهنها. فلم يكن من السهل عليها ان تترك جرفيس وتأتي الى ذلك المكان، ولكنها تمكنت بمعونة هارييت ان تهجر زوجها الى الابد. وحين نزلت في تلك الجزيرة، كانت مريضة وشاردة الذهن، بحيث لم تستطع ان تفكر بوضوح. وبعد ان تحسنت حالها قليلاً، رأت ان تغير رأيها فتخبر جرفيس عن مكان وجودها على الاقل. ولكنها، في هذه الاثناء، اوشكت ان تلد طفلها سين فاستمعت الى نصيحة هارييت بأن جرفيس قد لا يريد مصالحتها، ولكن من المؤكد انه سيطالب بطفله حين يولد، ولن يجد صعوبة في الحصول عليه. وهذا ما بعث الرعب في قلبها، بحيث تراجعت عن رأيها في الاتصال به. ومع ان اللوم يقع عليه في هجرها له، غير انها لم تجرؤ على المجازفة بأي تصرف قد يفقدها طفلها. وهكذا آثرت ان تقبل بنصيحة هارييت لثقتها بانها اكثر منها خبرة في الحياة.

ومنذ ذلك الوقت لم تسمح لينسي لنفسها حتى بالتفكير في الاتصال بجرفيس. فهو لا يريدها ان ترجع اليه، كما كانت تعتقد بمرارة، ولذلك وجدت ان من حسن طالعها انها قبلت مشورة هارييت ولم تتبع رغباتها الخاصة. وكان جرفيس تزوجها وهي في الثامنة عشرة، وبعد ان عاملها بقساوة نبذها في سبيل امرأة اخرى. بل انه، بعد مرور شهرين على عودتهما من شهر العسل، وجدته في مكتبه مع ممثلة مشهورة. فكان ذلك بمثابة القشة التي تقصم ظهر البعير، كما يقال. فما كان منها الا ان لاذت بالفرار، لأن الحال في نظرها لم تعد تطاق. زد على ذلك عجزها عن ايجاد اي حل لمشكلتها مع جرفيس، نظراً لصغر سنها وقلة خبرتها في مثل تلك الأمور.

والآن، فرغم مرور ثلاث سنين على ولادة سين، ومع انها ازدادت خبرة ببلوغها الثانية والعشرين، الا انها لم تصبح مؤهلة لمواجهة الوضع الذي انتهت اليه.

وكانت هارييت ماتت منذ عشرة ايام، بفعل داء توقع الاطباء ان تشفى منه. غير انها ماتت فجأة، فوقع موتها وقع الصاعقة على لينسي التي لم تكن تدرك كم كانت مرهقة بسبب العناية بها في مرضها. ومنذ ذلك الحين حالفها الحظ باستمرار العون الذي كانت تناله من موسيتا، وهي الفتاة الصغيرة المكلفة بالعناية بسين، على الرغم من المكافأة المالية الزهيدة التي كانت تؤديها لها.

وكانت موسيتا تنام في المنزل، بحيث تكون هناك حين يستفيق سين من نومه، والا لما كان في استطاعة لينسي ان تفارقه لتلبي رغبتها في الخروج الى الشاطىء والتمشي وحدها هناك، املاً في التفكير بعمق وهدوء. فهي كانت دائماً تحب ذلك الوقت من النهار، حين يكون العالم غارقاً في سباته. فكيف الآن وهي بحاجة الى جو من السكينة والأمان؟

وفيما هي تسير الهوينا وتحاول التخفيف من متاعب الاسبوع المنصرم، فوجئت برجل يقترب منها ويكاد يطبق عليها. غير انها لم

تلتفت اليه الا حين سمعت صوته، فصاحت قائلة:

- جرفيس!

وحملقت فيه برعب ودهشة، فيما علا الاصفرار وجهها وكان شاحباً من كثرة الاقامة داخل المنزل للعناية بهارييت قبل وفاتها. وتراجعت مبتعدة كما عن شبح مخيف، وهي تتمتم قائلة:

- لا . هذا محال!

فابتسم جرفيس شبه ابتسامة وقال بهدوء:

- يبدو انك فوجئت برؤيتي يا لينسي!

ولعل نبرته الهادئة هذه هي التي بعثت القشعريرة في انحاء جسمها. وحدقت بذهول الى قامته النحيلة ووجهه الوسيم، وهي تحاول جهدها ان تتمالك نفسها. فرأت انه تغير كثيراً، بحيث تعمقت تجاعيد وجهه، خصوصاً حول العينين والفم على ان ذلك لم يكن مستغرباً من رجل قارب الثمانية والثلاثين من العمر، بصرف النظر عن تأثير هجرانها له. وكانت عيناه اكثر رمادية مما حفظته في ذاكرتها، وفمه مشدود الشفتين كذلك، ولكن لينسي لم تلمح في ذلك كله اية رغبة منه في تخويفها. لماذا؟ تساءلت لينسي في نفسها. ذلك ان جرفيس لم يكن في يوم من الأيام رجلاً متسامحاً، كما انها لم تكن في هجرها له بريئة من ارتكاب احدى افظع الجرائم.

وقالت له وقلبها يخفق بشدة:

- كان فراقنا طويلاً، اليس كذلك؟

فأجابها موافقاً:

- نعم، كان طويلاً جداً.

وعجبت لينسي كيف انه لم يعاملها بغضب. فهو لو فعل لشعرت بمزيد من الارتياح. حتى نظراته كانت لامبالية، كما لو انه عزم على ان لا يبوح لها بما يعتمر في داخله. فماذا كان يحاول ان يخفي عنها؟ البغض والازدراء ربما، ولكن ليس الحب على الاطلاق. وهذا ليس بمستغرب بعد تلك السنين من الفراق.

واذ عجزت عن تفسير كل ذلك، سألته قائلة:

- كيف قدمت الى هنا؟

فاجابها قائلاً:

- على ظهر يختي.

- يختك؟ ولكن كيف عرفت اني هنا؟

- لم اكن اعرف. هل تعتقدين اني كنت لا ازال ابحث عنك؟ كنت ماراً من هنا وصادف اني لمحتك على الشاطىء!

وارتجفت لينسي لشعورها بما انطوت عليه نبرة صوته من غضب، ولكنها حاولت ان تخفي شعورها هذا. وتساءلت لماذا لم يسعفها الحظ ذلك الصباح، فلم تخرج من منزلها الى الشاطىء؟ واحست بجفاف في حلقها حين تذكرت سين ورأت انه من الضرورة القصوى ان لا يعرف جرفيس عن امره شيئاً، خصوصاً بعد ان انتهى كل رابط بينها وبينه. وكان جرفيس متعجرفاً، شديد الكبرياء، ولا يعقل انه تغير لأن الناس قلما يتغيرون. وهو لن يقبل برجوعها اليه الآن، ولكنه قد يطالب بولده.

وسألته في محاولة لكسب الوقت للتفكير:

- هل حاولت ان تبحث عني من قبل؟

فأجابها قائلاً:

- نعم، من حين الى آخر.

وتحدث اليها في ذلك وكأنه لم يبحث عنها الا حين لم يكن لديه ما يعمله. وخطر للينسي ان تقول له وهي تعض على شفتها السفلى:

- اما الآن وقد وجدتني، فأظنك تريد ان تطلب الطلاق.

فتجهم وجهه وهو يقول:

- كان باستطاعتي ان اطلقك قبل الآن بتهمة هجرك لي!

- ولماذا لم تفعل؟

- لم يكن لدي الوقت الكافي. . .

لم تقتنع بهذا الجواب، فسألته قائلة:

- اليس لديك سبب آخر؟

فأجابها وهو يحدق اليها متأملاً:

- ربما لأني لم اجد امرأة رغبت في الزواج بها. او لعل خبرتي بالزواج الأول لم تشجعني على زواج ثان. ثم ان في النساء من لا يطلبن خاتم زواج كشرط لمعاشرتهن...

ومالت لينسي بنظرها عنه الى الارض الرملية البيضاء في مثل لون الفضة، ثم قالت له:

- انا متأكدة انه كان هنالك نساء اخريات في حياتك، وكن قادرات على ارضائك اكثر مني. فلم يكن لدي آنئذ الخبرة الكافية.

فقال موافقاً بقساوة:

- هذا صحيح كل الصحة. ولكنك مع ذلك لم ترتكبي اخطاء فادحة، بل كنت في الواقع تعدين بمستقبل باهر في هذا المضمار... الى ان عزمت على الاقرار بالفشل واللجوء الى الفرار!

وعلا الاحمرار وجه لينسي، فشبكت اصابعها في حيرة وحياء. وتساءلت كيف يجوز له ان يقول هذا الكلام ولم يكن مضى على زواجهما ثلاثة اشهر فقط، ناهيك بانهما لم يعيشا حياة زوجية طبيعية اكثر من اسبوعين؟

وقالت بصوت خافت:

- كان هذا كله في الماضي. والآن ما فات فات ولا يمكن ان نبدأ من جديد...

فبادرها الى القول بنبرة قاسية:

- من قال شيئاً عن البدء من جديد؟

فجفلت لينسي وحاولت ان تشيح بنظرها عنه. وتساءلت لماذا تفشل في ذلك مع انها تكرهه كرهاً شديداً؟

وقالت له معتذرة:

- انا آسفة... اسأت التعبير عما كنت اقصد اليه، وهو اني اوافق على الطلاق اذا قمت بالمعاملات اللازمة في هذا السبيل.

وفوجئت لينسي حين اجابها قائلاً:

- لست على عجلة من امري... فبضعة اشهر تضاف الى سنوات الهجر الطوال لا تقدم ولا تؤخر... مضى الآن على ذلك اربع سنوات، أليس كذلك يا لينسي؟

فأشارت بالايجاب وقالت:

- اظن انك تريد ان تنتهي من قضاء عطلتك اولاً...

- نعم، هذا ما اريده.

- وهل ستغادر هذا المكان في الحال؟

- كلا. فأنا احببت هذه الجزيرة واريد ان اقضي بعض الوقت فيها... هل تسكنين انت هنا؟

- نعم.

- اذن، يمكننا ان نحاول تجديد علاقتنا والتحدث في امور تجمع بيننا.

فدب الرعب في لينسي، حتى انها كادت تلجأ الى الصراخ. ولكن جرفيس كان سيبقى هنا مهما جرى، فلا سبيل الى معاندته والوقوف في وجهه. وعلى الرغم من ذلك، فانها حاولت ان تثنيه عن عزمه، فقالت له:

- بقاؤك هنا مضيعة للوقت يا جرفيس!

- لماذا؟

- الجواب واضح، أليس كذلك؟

فعبس جرفيس كأن الجواب لم يكن واضحاً له على الاطلاق. وتمنت لينسي ان يتوقف عن التحديق بها. وكانت تعذره لو انها ادركت كم كانت تبدو جميلة تحت شعاع الشمس العابق بندى الفجر. كانت قامتها الهيفاء النحيلة، وبشرتها الغضة كأوراق الورد، تملأن النظر. فلا عجب ان يبادرها جرفيس بالقول:

- لا يبدو عليك الكبر، ولو يوماً واحداً، يا لينسي!

وكان في نبرة صوته ما جعلها تضطرب وتقلق كعادتها في ماضيات

الأيام. ولم تشأ ان تحمل كلامه على محمل المديح، فاجابته بمرارة:

ـ تقدمت في السن وادركني الكبر في نواح عديدة!

ـ هذا ما ارجوه. الأولاد وحدهم يهربون من امام المشاكل... هل تنوين الهرب مني مرة اخرى؟

فتأملته لينسي ملياً وهي في حيرة من امرها. وظهر ذلك جلياً في عينيها الواسعتين الزرقاوين المائلتين الى اللون البنفسجي.

وقالت له:

ـ ولماذا اهرب مرة اخرى؟

قالت ذلك وهي تعلم انها قد تضطر الى الهرب، انما ليس بمثل السهولة التي صادفتها في المرة الأولى، وذلك لوجود طفلها معها.

واجابها قائلاً:

ـ لم افهم الى الآن لماذا هربت في المرة الأولى؟

ـ انا متأكدة من انك تفهم السبب فهماً جيداً.

فتجهم وجهه وهو يرمقها بنظرات حادة، كأنما اراد ان يقرأ ما يجول في فكرها، وقال:

ـ كان يخيل الي ان كل شيء كان حمله ثقيلاً عليك، ولكني لم اكن اعتقد ان ذلك يؤدي بك الى هجري. فمنذ اربع سنوات لم اكن اعرف اذا كنت من الاحياء او من الأموات.

ـ تركت لك رسالة.

ـ نعم، ولكنها لم تذكر الا انك لم تعودي الى البيت. وهي مثال صادق على الرسائل التي تتركها النساء لأزواجهن الذين لا يحققون توقعاتهن وامانيهن المستحيلة...

وتذكرت لينسي سلوكه معها، فكاد يختنق صوتها وهي تجيبه قائلة:

ـ انت ... انت لم تبذل جهدك معي.

وهنا ظهرت على وجهه، لأول مرة، امارات الغضب الشديد. فقال لها:

ـ ربما كانت خبرتي محدودة مع فتيات مراهقات مثلك. وادركت فيما بعد ان الوضع كله، منذ توفي والدك في غضون شهر العسل الى يوم فقدت الطفل وهو جنين، كان محفوفاً بالخطر. غير انك لم تحلي اية مشكلة باتخاذك طريق الجبانة التي قادتك الى الهرب مني...

وفيما هي على وشك الشهيق بالبكاء، نظر اليها بقساوة قائلاً:

ـ ارجو المعذرة. لم اكن اظن ان فقدان الطفل لا يزال يزعجك بهذا القدر. ولكن هل فكرت يوماً انه كان بامكانك ان تحبلي لتلدي طفلاً آخر؟

فظهر على وجنتيها احمرار الخجل للذنب الذي اقترفته حين جعلته يعتقد انها اسقطت الطفل. والآن، فكيف لها ان تعترف بذنبها هذا وتخبره بأن الطفل لا يزال على قيد الحياة؟ كانت ستخبره حين ذهبت الى مكتبه في ذلك اليوم المشؤوم ووجدته يعانق اوليفيا جيمس، ولكنها لم تفعل. ولعل هناك من يعتقد انها اذنبت في كتم الخبر عنه، فهو طفله بقدر ما هو طفلها. غير ان الأمر لم يكن بمثل هذه السهولة. فهو لم يحبها كما احبته، او هذا على الاقل ما لم يصارحها به. ربما اشار الى ذلك عرضاً، حين كان يتقد بالعاطفة ويطمح في جمالها. وثار غضب لينسي لكلامه، فالتفتت اليه غاضبة وقالت:

ـ لا اريد ان اخوض في هذا الحديث. فما الفائدة من نبش الماضي بعد هذا الفراق الطويل؟ انا على اتم الاستعداد لتوقيع اوراق الطلاق حالما تقدمها الي.

فتظاهر بالرقة واللين وقال:

ـ هل هذا صحيح؟ ولماذا هذا التنازل منك الآن في مثل هذه السرعة؟ بالأمس كنت تجدين متعة في معارضتي في اي شيء... نعم كنت تقاومينني كالعفريتة... كنت لا تريدين الطفل، ثم رفضت قبول اية تعزية حين فقدته!

وتساءلت لينسي في نفسها لماذا لا يتوقف عن تعذيبها. احست بشعور يجتاحها كموجة عارمة... كيف له ان يأتي على ذكر هذا

الحديث؟ كانت يافعة ولا تفهم شيئاً من ذلك كله. وفي ليلة عرسها اقترحت عليه ان يرجئا انشاء عائلة الى ما بعد، ولكنه قهقه ضاحكاً واعلن ان انشاء عائلة هو السبب الأساسي الذي من اجله تزوجها. كان يريد ان ينجب صبياً، حتى انه لم ينتظر لحظة.

وكان ذلك في بدء شهر العسل، وهي الآن لا تريد ان يذكرها به احد.

وقالت له:

ـ ألم اخبرك اني تغيرت؟

ـ ولكني اتمنى ان اكتشف مقدار هذا التغيير!

ـ لا امل لك في ذلك ونحن نتحدث عن الطلاق!

ـ هذا صحيح. ولكن الا تريدين نفقة بعد الطلاق؟

وفوجئت لينسي بهذا السؤال، غير انها فكرت كم هي بحاجة الى المال. فمنذ ان توفيت هارييت وحرمت من الدخل الذي كانت تنفق منه، اصبح القلق يساورها على المستقبل. كيف يمكنها ان تكسب رزقها وتعيل طفلها سين؟ على ان ذلك شيء، وقبولها مساعدة جرفيس شيء آخر.

فأجابته قائلة:

ـ كلا. لا اريد منك شيئاً. بامكاني ان اتدبر امري!

ـ بامكانك حقاً؟ وكيف يكون ذلك؟

ـ هنالك عدة وسائل...

قالت ذلك وهي لم تفكر في اية وسيلة. فسألها قائلاً:

ـ مثلاً؟ هل تساكنين احداً؟ ربما رجل آخر؟

واستولى الغيظ على لينسي من كلامه هذا، فأجابته قائلة:

ـ انت .. انت تقول هذا.

وكان جرفيس لا يدري انها كانت تفكر في طفلها البالغ من العمر ثلاث سنوات.

وقال جرفيس بنبرة لامبالية:

ـ انا لا استغرب انك لا تعيشين وحدك، خصوصاً حين اتذكر كيف كنت ترسمين صورتك الحقيقية حتى في شهر العسل الذي قضيناه معاً!

فردت عليه قائلة بغضب:

ـ انت وقح ومخطىء....

قاطعها قائلاً:

ـ على من تكذبين يا لينسي؟ كنت لا تعرفين شيئاً حين تزوجتك. واستطيع القول ان ليلة عرسك كانت فضيحة بالنسبة الي. والى ان جعلتك بعض تصرفاتي تبتعدين عني، كنت تتمتعين كل التمتع بهذا الجانب من زواجنا...

ـ لم يكن هذا بفضلك انت...

ـ اسمعي. كنت متقلبة في عواطفك الى حد جعلني افقد رشدي. كنت في البدء لا تريدينني، ثم اصبحت مصدر ازعاج لي... حتى في وقت عملي.

وساءتها هذه الاهانة، فصاحت به:

ـ لم اكن اتوقع ان تنهمك في عملك حتى في شهر العسل!

ـ ولكنك تعلمين حق العلم انه كان هنالك ما يستدعي اتصالي المستمر بلندن...

ـ ربما ازعجتك في تصرفاتي الحميمة، ولكني كنت احاول ان ارضيك...

فهز رأسه وهو يقول:

ـ هل كانت هذه غايتك؟ ربما. اما الآن فلا يعني ذلك شيئاً، وتبقى الحقيقة وهي انك كنت تريدين الحب... ولكن على هواك. وهذا يجعلني الآن اعتقد انك لم تحرمي نفسك منه بسهولة طوال هذه السنين!

اطرقت لينسي برأسها الى الأرض واخذت تفكر بتلك الفترة الوجيزة من حياتها. وساءها ان جرفيس حتى الآن، وبالرغم عنها،

لا يزال قادراً على ان يجعل قلبها يخفق بشدة لمجرد النظر اليها. غير انها لم تستطع ان تتذكر جلياً كيف كان شعورها في شهر العسل. كل ما استطاعت ان تتذكره هو ان جرفيس كان ماهراً في السيطرة عليها، حتى انها خلال سنوات الهجر الاربع لم تتمالك من التفكير في ذلك والتوق اليه.

وقالت له:

- من حقك ان تظن ما تريد...

فبادرها الى القول:

- بربك اخبريني... لماذا جئت الى هذه الجزيرة؟ انا متأكد ان لا حبيب لك في لندن... اما هنا؟

- جئت الى هذه الجزيرة لأن صديقة لوالدتي تعيش فيها، ولم استطع ان افكر في اي شخص آخر الجأ اليه في محنتي.

- هل انت صادقة في كلامك هذا؟ واين هي الآن؟ ام انك تركتها وتبعت حبيبك؟

- كلا. توفيت.

- ارجو ان تكون علمت بزواجنا، وبأنك دسته بقدميك وهربت لأنك كنت تفتقرين الى قليل من الشجاعة!

تمتمت لينسي قائلة:

- كانت تعلم بزواجنا، اذا كان هذا ما يهمك ان تعرفه.

- الم تنصحك بأن تتصلي بي؟

- كلا!

- اذن، اية امرأة كانت هذه؟ ام انك رويت لها واقع زواجنا، بحيث حملتها على الاعتقاد ان الحظ ساعدك للخروج من ذلك الجحيم؟

فآثرت ان لا تجيب على سؤاله، فاعتذرت قائلة:

- يجب علي يا جرفيس ان اعود الى المنزل الآن.

- يا للجبانة مرة اخرى! هل تخافين ان احرجك باسئلة اخرى قد

لا تستطيعين الاجابة عنها... كسؤالي، مثلاً، عن هذا الرجل الذي تسكنين معه؟

وخيل اليها انها تسمع صوت صراخ طفل في البعيد، فخشيت ان يكون سين، وان يكون في طريقه اليها. ولذلك سارعت الى الاعتذار بالحاح قائلة:

- يجب ان اعود الآن... ارجوك!

وسرها ان جرفيس لم يقم بأية محاولة لمنعها من الذهاب، بل اكتفى باظهار لامبالاته قائلاً:

- اذهبي... فأنا لا اريد ان اواجه الرجل الذي تركتني من اجله. ولكني سأجتمع اليك مرة اخرى بشأن الطلاق. هل يمكنك ملاقاتي في بورت لويس بعد يوم غد، مثلاً، لتناول طعام الغداء معاً؟

وكانت على اتم الاستعداد للقبول بأي شيء للتخلص منه، فأجابته بالايجاب. ثم قال لها:

- وأين منزلك؟

- هناك.

واشارت باصبعها الى المكان، على امل ان لا تثير حبه للاستطلاع، ان هي حاولت ان لا تدله عليه بصراحة ووضوح.

وبدا لها انها نجحت في ذلك، لأنه لم يظهر اهتمامه بهذا الأمر، بقدر ما اظهر اهتمامه بها. اذ اخذ يحدق اليها ويتأملها بشغف، حتى انها لم تتمالك من الشعور بالرعب. ولم يكن ما يبرر شعورها هذا، نظراً الى تصرفاته معها في ذلك اللقاء. ولعل ذلك كان مرده الى انطباع رسب في ذهنها من الأيام الماضية.

وقال لها:

- عندما تطلقيني، هل تنوين الزواج من صديقك هذا؟

- كلا...

وانعكست في عينيه مرارة ما كان يحس به في داخله، فقال:

ـ اذن، كوني مستعدة لقبول اي شيء اعرضه عليك عندما اقرر الطلاق منك، فاذا جاء وقت لا يريدك احد ان تكوني له، تشعرين بالرضى والسرور لحصولك عليه.

واستولى الغضب على لينسي، ولكنها كتمته ولم تصرح له بحقيقة شعورها نحوه، اكراماً لولدها سين.

قالت له بصوت خافت:

ـ شكرا يا جرفيس على عاطفتك الطيبة.

وامام ما ظهر في كلامها من خضوع وانكسار، لم يكن من جرفيس الا ان رمقها بنظرة حادة وادار ظهره ومشى، من دون ان يتفوه بكلمة واحدة، اما هي، فوقفت في مكانها تشيعه بنظراتها الشاردة وتتساءل لماذا لم يتحقق الانفراج الذي توقعته من هذا اللقاء. وعندئذ ادركت انها هي وحدها التي تشعر بالضعف والارهاق.

اتجهت نحو البيت على مهل وهي تحس بالقلق والخوف. وبلغ بها الضياع والاضطراب حد الانفجار بالبكاء، غير انها تمالكت نفسها لئلا يؤثر هذا التصرف على سين. فكفاه ما كانت عليه من توتر اعصاب في الاسابيع القليلة الماضية.

وحاولت لينسي ان تحصر اهتمامها بسين، الا ان تفكيرها بقي يتجه نحو زوجها. فلا شك انه تغير، ولكنها شعرت بالحاجة الى المزيد من التحدث اليه، قبل ان تقرر الى اي حد بلغ به هذا التغيير وفي اي جانب من جوانب حياته وتفكيره.

ومهما يكن، فان جرفيس لم يظهر اي غيظ شديد، او اية عاطفة جامحة، حين تمكن من العثور عليها. واذا صدق في كلامه انه كان يتنزه في يخته وصدف له ان مر بتلك الجزيرة وشاهدها على الشاطىء، فيجب ان يكون اصيب مثلها بهزة عميقة بتأثير مثل هذه المفاجأة.

وبذلت لينسي جهدها لتتبين ردة فعلها، لعلها في ذلك تكوّن رأياً اكثر دقة في شأن جرفيس. وشعرت بالذهول والحيرة والاضطراب،

كمن اصيب بضربة افقدته الوعي بعض الشيء. وادركت كم هي بحاجة الى مزيد من الوقت لتجمع افكارها وتتبين بوضوح ماذا يجدر بها ان تفعل.

على انه ساءها ان جرفيس لا يزال مسيطراً على عواطفها. فمنذ اللحظة التي تعرفت اليه فيها، كان في استطاعته ان يحرك مشاعرها بمجرد النظر اليها. وكانت تظن ان سنوات الفراق جعلت ذلك غير وارد، الا ان ظنها هذا لم يكن، على ما يبدو، في محله.

وكانت الحاضنة موسيتا تطعم سين حين وصلت الى البيت ودخلت الى المطبخ. ورأت ان سين متجهم الوجه، فادركت انه كان غاضباً. وكانت المائدة ملأى بفتات الطعام وكان سين يجمعها ويلملمها بكفي يديه ويرمي بها موسيتا. وحين كانت موسيتا تحتج على تصرفه هذا، كان لا يحفل بذلك. فهو لم يكن يحترمها لأنها كانت، كالعادة، تسمح له بأن يفعل ما يشاء. وادركت لينسي ان عليها الآن بعد وفاة هاريت ان تمارس، اكثر مما مضى، سلطتها على سين.

وكان سين ولداً وسيم الطلعة، اسمر اللون بتأثير قضائه معظم الوقت في الهواء الطلق والشمس. ولو لم يكن شديد الشبه بوالده جرفيس، لتمكنت لينسي من ان تدعي لجرفيس انه ابن موسيتا، الى ان يرحل عن الجزيرة.

وكان من السهل عليها ان تقنع جرفيس بأنها تسكن مع رجل آخر، مما جعلها تشعر بالارتياح. فهذا على الاقل يمنعه من المجيء الى البيت ومشاهدة سين. وعلى الرغم من هذا النجاح الذي حققته حتى الآن، فانها شعرت بمرارة في حلقها، ولذلك خاطبت سين بحدة، مما لم يرق لسين فقال لها:

ـ لماذا انت غاضبة هذا الصباح يا اماه؟

ـ لا . لست غاضبة يا سين.

ـ انت دائماً تحذرينني من الكذب، فلماذا تكذبين علي انت الآن؟

فتأوهت لينسي وهي تحدق اليه بفروغ صبر. فكثيراً ما حسبته اكبر منها سناً، وكان بفضل هارييت وموسيتا يتكلم الانكليزية والفرنسية بطلاقة. ولم يكن هذا مستغرباً، لأن سكان جزيرة موريتيوس يتكلمون اللغتين. الا ان الذي شغل بال لينسي اكثر ما يكون، هو قدرة سين على التحدث كما يتحدث الكبار. فكأنه لم يمر بمرحلة الطفولة على الاطلاق.

وقالت له باعتذار:

ـ انا آسفة يا حبيبي... لم اكن اشعر هذا الصباح بكثير من الارتياح. ولكن كان عليك ان تدرك انه لا يجوز بعثرة طعام فطورك على المائدة.

فأجابها قائلاً:

ـ انا لا اسيء التصرف الا اذا كنت ضجراً.

ودخلت موسيتا في هذا الحوار، فقالت مبتسمة:

ـ عرضت عليه ان آخذه الى الشاطىء في نزهته. اما وقد عدت الى البيت، فبامكاني ان آخذه الآن، على ان اهتم بترتيب البيت فيما بعد.

وكانت لينسي على استعداد للترحيب باية فكرة تؤدي الى تسلية سين في ذلك الصباح، فقالت لموسيتا:

ـ شكراً يا موسيتا. اما ترتيب البيت فأقوم به بنفسي.

وخرجت موسيتا مع سين وهو اكثر مرحاً. ولم تشأ لينسي ان تخبره بانهم سيتركون البيت الذي يسكنونه، وآثرت ان ترجىء ذلك الى ما بعد، لئلا تعكر مزاجه منذ الآن.

وبعد ان شربت فنجاناً من القهوة، انصرفت الى توضيب الاشياء الخاصة بهارييت. ولم يكن ذلك بالأمر السهل، لأن هارييت، على الرغم من ميلها الشديد الى السيطرة والاستئثار، فقد افتقدتها لينسي كثيراً، وحارت كيف تعيش من دونها.

وفيما هي تقوم بعملها هذا، جلست قليلاً ووضعت رأسها بين

كفيها. كانت هارييت اخلص صديقة لوالدتها، وحاضنة ومربية للاطفال في قصور اعظم العائلات البريطانية. وفي الخمسين من عمرها قدمت الى جزيرة موريتيوس للعناية باختها المريضة، ثم قررت ان تبقى هناك بعد موتها. وكانت وحيدة في الحياة، ولذلك رحبت بلينسي احر ترحيب، وجعلتها تعتقد انها من سعة الثراء، بحيث يمكنها ان تعيش عيشة بذخ ورفاهية. وكانت لينسي، لقاء ذلك، تقوم بتدبير المنزل والعناية بهارييت بعد ان اقعدتها الشيخوخة. ولعلها كانت تبحث عن عمل يقوم باعالتها هي وسين، لو لم تشعر بالمسؤولية والولاء نحو امرأة صديقة لوالدتها، استقبلتها بترحاب في ساعة الشدة والضيق. وهكذا تركت السنين تمر، غير مبالية بما يخبئه الغد. حتى اذا ما توفيت هارييت وهي في فقر شديد، وجدت نفسها من دون معيل او رفيق. بل ان الكوخ الذي كانت تسكنه هارييت لم يكن ملكها، وبدل الايجار لم يكن دفع الا الى آخر ذلك الشهر. فماذا تفعل؟ ومن اين لها ان تحتفظ بالكوخ وهي لا تملك شيئاً؟ وعبثاً حاولت استدرار عطف العجوز الشمطاء صاحبة الكوخ التي اصرت على ان تقبض بدل الايجار عن السنة المقبلة سلفاً.

٢ - «لن تهربي مني هذه المرة!» وتأكد لها ان اللطف المفاجيء الذي اظهره كان يخفي نية غير صادقة. وخطر لها ان تحتج وتستغيث غير انها رأت ان ذلك لا يفيدها. . .

كانت لينسي تنام في سرير ضيق تكاد لا تسعه الغرفة. وكان للكوخ ثلاث غرف نوم، والغرفة التي شغلتها هارييت اوسعها جميعاً. وكان في امكان لينسي ان تحتلها، الا انها ترددت في ان تفعل ذلك، والوقت الذي ستخلي فيه الكوخ اصبح قريباً.

ذهبت الى فراشها باكراً تلك الليلة، لشعورها بالتعب والارهاق. غير انها وجدت صعوبة في الاستسلام الى النوم، فانصرفت الى التفكير في ما يجدر بها ان تفعله في المستقبل. ولكن جرفيس ظل يحتل الجانب الأكبر من تفكيرها، مما جعلها تتقلب وتتلوى في الفراش ويداها مشبوكتان على صدرها. وساءها انها، على كثرة همومها واهتماماتها، لا تستطيع ان تنسى جرفيس ولو للحظة. ومع ان ذلك لم يكن مستغرباً بعد لقائه ذلك الصباح لأول مرة منذ مدة طويلة، الا ان ذلك لم يبرر، في نظرها، عجزها عن نسيانه كواقع بارز الحضور في حياتها.

وبعد جهد جهيد غلبها النعاس، الا انها لم تلبث ان افاقت بلهفة، اذ خيل اليها انها رأت احداً خارج النافذة. ونهضت جالسة في الفراش وهي ترتجف من الخوف، ولكنها بعد التحديق الشديد لم تجد احداً هناك. وشعرت بالارهاق فعادت الى اسناد رأسها الى المخدة، ثم اخذت تمعن النظر الى زجاج النافذة وقد عكس شعاع القمر الذي كان يتسرب الى داخل الغرفة.

وبعد حين، خطر لها ان تنهض من فراشها لتتفقد سين وموسيتا حيث كانا يرقدان، ولما وجدت ان كل شيء على ما يرام، عادت الى فراشها وهي تشعر بالرضى والارتياح.

على ان قلقها المتزايد لم يكن مما يساعد على عودتها الى النوم. وكان جرفيس يحتل تفكيرها على الرغم منها، فتذكرت لحظة التقته وتعرفت اليه. كان والدها في الاربعين من عمره آنذاك ولكنه لم يتمكن، الا قبل موته بسنوات قليلة، من ان يرتقي الى منصب المدير العام في شركة جرفيس. وكانت وفاته نتيجة اصطدام سيارته بسيارة اخرى، وكان جرفيس برفقته. ولما نقل الى المستشفى، ذهب جرفيس لينقل الخبر الى زوجته.

وكانت لينسي في غرفة الاستقبال تتسمع الى الموسيقى، حين فتحت والدتها الباب ليدخل جرفيس. فما ان وقعت عينا لينسي عليه حتى اخذت بطلعته الوسيمة واحست بأن قلبها يكاد يقفز من بين ضلوعها، تحت تأثير نظراته الحادة. حتى انها لم تتأكد من ان الذي جرى له كان كردة فعل على الحادث الذي اصيب به والدها، ام كردة فعل على وقوفها وجهاً الى وجه امام جرفيس.

وبعد تلك الدقائق القليلة، لم يظهر على جرفيس بارادين انه اعار اي اهتمام لتلك الفتاة النحيلة التي كان جمالها الرائع يثير الاعجاب. غير انه كان لطيفاً كما لا تزال لينسي تتذكر، فرافق والدتها الى المستشفى لزيارة زوجها. وكانت لينسي معهما ايضاً، وبعد الزيارة اصر على العودة بهما في سيارته. ولم يتحدث الا لماماً مع لينسي، ولكنه جعلها تشعر بشيء ما يشدها اليه، ولذلك لم تفاجأ فيما بعد، حين اتصل بها ودعاها الى تناول طعام العشاء معه.

وقبلت لينسي الدعوة بصوت مرتجف. وادركت بحدسها انه لاحظ ارتباكها وتوتر اعصابها بتأثير دعوته. ولم تخبر والديها، حين جاء الى البيت ليرافقها، اين كانا ذاهبين لتناول طعام العشاء، لئلا تطلق لمخيلتهما العنان. ثم انها لم تكن تظن ان مثل هذه الدعوة يمكن

ان تتكرر. فهي وان كانت جميلة وذكية، الا ان لا شيء في حسبانها يجمعها بجرفيس بارادين.

ووصل جرفيس الى البيت لمرافقتها في السابعة مساء، اي قبل الموعد المحدد بنصف ساعة، فكانت لا تزال ترتدي ثيابها. وحين فتح والدها الباب، وكان عاد من المستشفى سليماً معافى، فوجيء بجرفيس واقفاً على العتبة.

وتذكرت لينسي الآن كم كانت دهشة والديها شديدة لاهتمام جرفيس بابنتهما. على ان دهشتهما خفت بعد ان كرر دعوته لها الى الخروج معه، واصبحا ينظران اليه نظرة اخرى. فكانت السيدة براون تفتخر بان جرفيس بارادين معجب بابنتها، في حين كان زوجها بيتر يتخذ جانب الحذر.

وقال للينسي:

ـ لو كنت مكانك لما حملته على محمل الجد. انه رجل شديد الذكاء ولكنه يكبرك سناً. فهو في الثالثة والثلاثين على الأقل، ولا بد انه كثير التجارب مع النساء.

على ان لينسي لم تكن مستعدة لسماع مثل هذا الكلام. كانت في الثامنة عشرة، وقد تركت المدرسة وعزمت على التخصص بالتمريض. اذ بعد تخرجها لن تكون ملزمة بالعمل في المستشفى الذي تخصصت فيه، وانما كان بامكانها ان تسافر، وان تجد عملاً كهاريبت، صديقة والدتها الحميمة. وهي طبعاً لم تحسب في خطتها هذه حساباً للتعرف الى رجل مثل جرفيس، ولكن القرارات التي اتخذتها بشأن مستقبلها جعلتها تعتقد انها بلغت سن الرشد واصبحت قادرة على التعامل مع رجل مثله.

وكثيراً ما كانت تسأل نفسها لماذا لم يعانقها جرفيس الا مرة واحدة قبل ان يتزوجها. وفي تلك المرة الواحدة احست بضيق شديد، حتى انها سرت لأنه لم يحاول ان يعانقها مرة اخرى. ومهما يكن، فانها ظلت تتضايق بعض الشيء حين كان يكتفي بمصافحتها. ولم يكن

الا في ليلة زواجهما، ان تمنت لو ان علاقتها بجرفيس تعود الى حالتها السابقة.

تناولا طعام الغداء في قصره الريفي المنيف. وكان لجرفيس قصر آخر في لندن، ولكنه اعتبر ذلك القصر الريفي منزله الحقيقي. وكانت والدته لا تزال على قيد الحياة، ولكنها اذ كانت تقيم آنئذ في باريس، فلم تحظ لينسي بمقابلتها. كان الوقت صيفاً، والليل حاراً، وعندما خيم الظلام وفارقهما الخدم، اقبل عليها جرفيس وعانقها.

واخذت لينسي تتذكر الآن وهي على فراشها الضيق في ذلك الكوخ، كيف انها لم تبد اي حراك، لأنها لم تكن تعلم ماذا تفعل وكيف تتصرف. وعندئذ ضمها اليه واخذ يفك جدائل شعرها. وحين انسدلت على كتفيها، تنفس الصعداء وقال لها:

ـ آه، ما اجمل جدائل شعرك!

ولم تجرؤ لينسي على النظر اليه، مخافة ان يقرأ في عينيها ما كان يجول في خاطرها وما يعتمر في نفسها من مشاعر. ولكنها بعد حين، تمكنت ان تتمتم قائلة:

ـ اراك تحب الشعر الطويل المرسل...

ـ نعم، ولكن ليس دائماً...

وعلا وجهها الاحمرار لشدة الحيرة والارتباك. غير انها لم تفاجأ حين تابع كلامه قائلاً:

ـ اريد ان اراك، وشعرك هذا مرسل وملتف حولنا.

فتنهدت لينسي وقد استولى عليها الحياء. وسرت في جسمها رعشة بعثها هذا الكلام الذي لم تسمعه منه فيما مضى. وحارت ماذا تقول، الا انها بعد صمت قليل، ادركت ان لا بد لها من ان تتخذ موقفاً ما، فقالت وهي تحاول التملص:

ـ اريد ان اعود الى البيت يا جرفيس، ارجوك.

فاجابها بسخرية:

ـ أليس لديك غير هذه العبارة المألوفة...

فقاطعته قائلة وهي تحدق اليه بنظرات باردة:

- وماذا اذن؟

وكان جرفيس ينوي افلاتها، الا ان برودة كلامها اثارته وحملته على تغيير رأيه، فتمتم قائلاً وهو يشدها اليه:

- لم يحن وقت عودتك بعد.

واخذ يعانقها على نحو لم تعهده فيه من قبل. ولكن سرعان ما بدأت تشعر بنشوة غريبة ارعبتها، بحيث لم يكن امامها الا ان تستجمع كل قواها للافلات منه. غير انه امسك يديها ووضعهما خلف ظهرها، فلم تستطع ان تبعده عنها. وخيل الى لينسي في تلك الحال انه لا بد ان يتركها وشأنها. فلا شك انها اغضبته بكلامها وردة فعلها، ولكنها لم تكن تتوقع منه هذا القدر من الثأر.

وفجأة رفع رأسه وحدق اليها، متعمداً ان تلتقي نظراتهما. وحين تم ذلك، رأت فيهما شرراً جعلها تعتقد انه لا بد ان يلقي بها جانباً. غير انه، على العكس من ذلك، افلت يديها، فتعلقت به وهي تحاول ان تقاوم جموح عاطفته المتزايدة. وحين كادت تفقد الشعور بما يجري لها ويدور حولها، ابعدها عنه قليلاً، على حين غرة، وقال:

- ماذا بك؟ هل انت خائفة؟

واستغربت هذا السؤال. نعم كانت خائفة، ولكنها في الوقت نفسه كانت تلتهب.

وقالت له:

- نعم، قليلاً!

وبصوت خافت لا اثر فيه للانفعال، اجابها قائلاً:

- وانا خائف ايضاً... ما هذا الذي فيك، يا لينسي براون، يجعلني اشعر مثل هذا الشعور؟

وساءها هذا الكلام، فابتعدت عنه. وعاد بها الى البيت، من دون ان يتبادلا الكلام وهما في الطريق. ومر شهر قبل ان يتصل بها، وكانت في هذه المدة غير قادرة على التفكير بأي شيء او بأي انسان

آخر. وعندما اتصل اخبرها انه اجرى التدابير اللازمة لزواجهما، من غير ان يسألها اذا كانت تريد ان تتزوجه ام لا. فهو، على ما بدا لها، اعتبر هذا الأمر مفروغاً منه. ومع ان ذلك اساءها الى حد بعيد، الا انها لم تجد بداً من الموافقة.

الى هنا بلغت ذكريات لينسي عن ماضيها مع جرفيس، ولم تشأ ان تذهب الى ابعد من ذلك. فالفجر بدأ يطلع، وهي لم تعد راغبة في مزيد من الجهد للاستسلام الى النوم. فنهضت من فراشها، وبعد ان ارتدت ملابسها بسرعة، هرعت الى الشاطىء.

لم يكن على الشاطىء احد. وكانت الشمس لم تشرق بعد، ولذلك كان الرمل رطباً تحت قدميها وهي تطأه مسرعة نحو البحر. وحين بلغته، بدلت ثيابها، كما اعتادت من قبل والقت بنفسها بين امواجه.

وسبحت الى مسافة بعيدة، في محاولة لتجريد ذهنها من اي تفكير في جرفيس. ولكن لم يدر في خلدها انه كان على ظهر اليخت يراقبها كما من قبل، ومنظاره بين يديه.

وكانت لينسي تسبح مسرورة كالدلفين، غير عالمة ان هنالك من يشاهدها. فهي لم تلاحظ وجود اليخت في الميناء، ولم تعر اي انتباه، كعادتها، الى السفن التي كانت تروح وتجيء، لأن ذلك كان امراً عادياً اصبح جزءاً من حياتها في تلك الجزيرة. حتى ان سكان الجزيرة في الجوار لم يحاولوا يوماً ان يقتربوا من الشاطىء في الصباح الباكر، لعلمهم انها تسبح وحيدة. وكانوا يعطفون عليها ويأسفون لأنها كانت مضطرة الى تربية ابنها بنفسها، من دون ان يساعدها او يعيلها زوج.

وفي الليلة التالية، حلمت لينسي حلماً مزعجاً آخر، فافاقت مذعورة لشعورها بأن احداً يراقبها من النافذة. وحاولت، كما في الليلة السالفة ان تقنع نفسها ان لا احد كان واقفاً هناك. وفي الصباح ارادت ان تتأكد من ذلك، فذهبت تبحث خارج البيت عن آثار قدم

بشرية فلم تجد شيئاً، خصوصاً لأن العشب الذي زرعته وتعهدته هارييت بلغ جدار الكوخ تحت نافذة الغرفة. وبعد ذلك، اسرعت كعادتها الى شاطىء البحر، لأخذ قسطها من السباحة قبل ان تقوم بترتيب المنزل والاستعداد للذهاب الى بورت لويس لملاقاة جرفيس كما تواعدا.

واراد سين ان يرافقها، فأخذ يتذمر قائلاً لها:

ـ انت لا تطلبين مني ان ارافقك ابداً.

وكانت لينسي بذلت جهدها في تجميل وجهها والعناية بزينتها، لأنها تذكرت كم كان جرفيس يريدها ان تفعل ذلك كلما خرجا معاً الى قضاء السهرة. فلماذا لا تحاول هذه المرة ايضاً ان تحوز رضاه؟

وبدا لها ان ولدها الصغير، هو ايضاً بحاجة الى الاسترضاء، فانحنت عليه قائلة:

ـ انت تعرف اني لم اكن استطيع الخروج من المنزل الا قليلاً بسبب هارييت...

ـ ولكنها توفيت، وانا احب ان ارى بورت لويس. فهناك وسائل عديدة للتسلية واللهو...

فمدت لينسي يدها في محاولة لاصلاح شعره المبعثر على جبينه، وقالت:

ـ اظن انك تكون اكثر سعادة على الشاطىء مع موسيتا، فانتظرني هناك لانني لن اتأخر طويلاً. وغداً آخذك للنزهة حيث تشاء.

فاجابها ببرودة:

ـ تعبت من صحبة النساء...

وفوجئت لينسي بهذا الجواب، فقطبت جبينها استغراباً لمثل هذا الكلام يصدر عن ولد في مثل سنه، وقالت له:

ـ انت تلعب مع جولز وبريان وبعض اولاد القرية من حين الى آخر... الا يكفيك ذلك؟

ـ ولكن هؤلاء لهم بيوت لائقة بهم، كما لهم آباء...

وتذكرت لينسي بقلق شديد هذا الكلام وهي في القرية تنتظر الباص الذي سينقلها الى بورت لويس. كان في وسع سين ان يكون مؤذياً كوالده، ولكنها اخذت تعزي نفسها بأن كل العائلات لها مشاكلها مع ابنائها، خصوصاً في مثل هذا السن، سواء كان للابن اب ام كان يتيماً. ورأت لينسي ان من الأفضل لسين ان يعيش بعيداً عن ابيه، على ان يعيش مع ابوين لا يتفقان على شيء.

وهكذا اخذت لينسي تحدث نفسها وهي تنتظر الباص على الرصيف، في ذلك الصباح البديع. وفكرت ان سين يكون احسن حالاً معها، والا كان عليه ان يتحمل كبرياء ابيه وعجرفته وقساوة طبعه. واذن، فخير ما تفعله الآن هو ان تمنع لقاءهما. اما اذا صدف ان عرف جرفيس بوجود ولده معها، فليس هنالك ما يستطيع ان يفعله للاستيلاء عليه، وكل ما في الأمر، هو ان عدم لقائهما افضل من لقائهما، لما ينطوي عليه ذلك من ازعاج هي بغنى عنه.

وعندما توقفت سيارة امامها، كانت غارقة في التفكير الى حد حال بينها وبين الانتباه اليها. وفجأة قفز منها رجل، وحين التفتت اليه وجدت انه كان جرفيس، فلماذا جاء الى هناك؟ هل جاء للتجسس عليها؟ وشعرت بتوتر في اعصابها من شدة الاستياء.

لمح جرفيس في امارات وجهها ما اقنعه بانها تتأهب للهرب، فسارع اليها وامسكها بذراعها قائلاً:

ـ صباح الخير يا لينسي... نسيت ان اعد مكاناً للقائنا، فرأيت ان من الأفضل ان اجيء الى هنا. كان هنالك ازدحام في الطريق، ولذلك تأخرت عن الوصول الى هنا باكراً، لأوفر عليك السير الى موقف الباص. وعلى كل حال، اما كان بامكانك ان تستقلي سيارة تاكسي؟

قال ذلك وسار بها نحو السيارة وساعدها على الصعود اليها والجلوس في المقعد الأمامي. وفيما هو يدير محرك السيارة وينطلق بها في اتجاه بورت لويس، قال لها:

ـ لا اظن انك كنت تقلقين لو انك لم تجديني في الميناء، حيث لا بد انك كنت ذاهبة.

ـ انت مخطىء في ظنك هذا، فأنا اريد ان انهي علاقتنا الزوجية اكثر مما تريد انت.

وخاب املها حين لم يتابع الحديث في هذا الموضوع، بل اخذ يحدثها عن الجزيرة قائلاً:

ـ لا بد انك قضيت وقتاً ممتعاً هنا مع اصدقائك... او لعله كان لك صديق واحد فقط!

فأجابته بانزعاج ومن دون ان تميل بنظرها عن الطريق امامها:

ـ نعم.

ـ اذن، لا عجب اني كنت انظر اليك دائماً كامرأة لا اخلاص لها.

وحاولت لينسي عبثاً ان تضبط اعصابها، فانفجرت في وجهه قائلة:

ـ يا للوقاحة! انسيت صداقاتك...

فقاطعها قائلاً:

ـ كلا، ولكني لم اهجرك بسبب اي واحدة منهن، كما فعلت انت. والآن اخبريني، هل هو من مزارعي قصب السكر، صدف ان لقيك في لندن، فتمكن من اغرائك؟ وهل هو انكليزي مثلك؟

ـ نعم، هو انكليزي مثلي!

ـ وهل انت مغرمة به؟

فصاحت به قائلة:

ـ وما علاقة هذا كله بطلاقنا؟ حياتي الخاصة ليست من شأنك!

ـ اهكذا تظنين؟ اذن، سترين العجب!

ـ انت تحاول ان تضللني وتخدعني في محاولة التهرب من ان تدفع لي اي نفقة... فليكن!

فبادرها الى القول:

ـ هذا غير صحيح. هل تعتقدين حقاً انني اتردد في دفع ما يحق

لك علي؟ انا لم اكن في كلامي افكر في المال على الاطلاق.

فنظرت اليه لينسي بشيء من الشك وقالت:

ـ اذا كان كلامك لا صلة له بالنفقة، اذن فانت تحاول ان تجد احداً تلقي عليه عبء هذه المسؤولية.

فأجابها بسخرية:

ـ كلا. فكبريائي لا تتأثر بهجرك لي قدر ما تتأثر بتفضيلك رجلاً آخر علي... لا رغبة خاصة لي في معرفة اسم صديقك، او اية تفاصيل اخرى... هذا مع العلم انك قادرة على التصريح بذلك.

وحارت لينسي في تفسير معنى كلامه هذا، ولكنها آثرت الصمت على ان تجيب بشيء يستغله في غير صالحها.

وكانت الطريق تخترق حقول قصب السكر واشجار النخيل. وكان على جانب منه البحر، وعلى الجانب الآخر السهول ومن ورائها التلال وقمم الجبال. وكان على ضفاف الانهر التي مرا بها نساء يغسلن الثياب، وفي البعيد اكواخ متناثرة هنا وهناك وسط قصور قديمة العهد. ولم تكن جزيرة موريتيوس ذات مساحة واسعة، اذ لم يكن طولها اكثر من اربعين ميلاً وعرضها اكثر من ثلاثين.

وكانت لينسي تحب هذه الجزيرة، ولكنها الآن لم تعد تستطيع الخلود الى الراحة والهناء فيها. وحين وصلا الى بورت لويس تنفست الصعداء وشعرت بحاجة ماسة الى الجلوس في مطعم ما وتناول الطعام، ولعلها بعدئذ تكون اكثر قدرة على مواجهة جرفيس والرد على اسئلته المحرجة.

غير انها فوجئت به يتجه الى الميناء، فصاحت به في رعب:

ـ الى اين انت ذاهب؟

وكان ذكر لها انه يريد ان يريها يخته، الا انه لم يعلن لها عن رغبته في تناول الطعام معها هناك.

وقال لها:

ـ ستحبين اليخت. كل النساء اللواتي اصعدتهن اليه وقعن في

حبه، وبعضهن اكثر منك رهافة في الذوق والاحساس بالجمال!
وساورتها المخاوف، فأخذت تتضرع اليه قائلة:
- بربك يا جرفيس، دعنا الآن نذهب الى مكان آخر... الى مكان لا يعرفك فيه احد...
فابتسم ابتسامة عريضة وهو يوقف السيارة وقال:
- هل يقلقك كيف سأقدمك الى الآخرين؟
- نعم. هذا يحرجني.
وتجاهل جرفيس طلبها قائلاً:
- لن يحرجك ذلك بقدر ما احرجني اعلان خبر هجرك لي لأهلي واصحابي... وانت لا بد تذكرين اننا، يوم هربك، كنا دعونا الى حفلة عشاء في منزلنا، فكان علي ان الغي الدعوة، مما سبب ذلك فضيحة تحملت انا وزرها...
فقاطعته قائلة:
- اذكر ذلك، يا جرفيس... ففي ذلك الوقت لم اكن ادري ما افعل!
- ولكنك فعلت اسوأ ما يمكنك ان تفعلي، خصوصاً وان بعض المدعوين كانوا من علية القوم...
واخذت لينسي تعتذر له، ولكن عبثاً. كان غاضباً عليها، لا بسبب تلك الحفلة وحسب، بل لتصرفات اخرى اساءت بها اليه. وحين نزلت من السيارة واسرعت الى الابتعاد عنه، امسكها بذراعها في عنف قائلاً:
- لن تهربي مني هذه المرة يا لينسي!
- كنت مريضة حين هربت في المرة الأولى...
فقاطعها قائلاً:
- لم تكوني مريضة الى الحد الذي حال بينك وبين ركوب الطائرة والمجيء الى هنا...
- بلى، وكنت بحالة يرثى لها حين وصولي... اما بخصوص

ضيوفك الى تلك الحفلة، فلا شك عندي انك كنت قادراً على تفسير سبب غيابي تفسيراً مقنعاً لهم...
ورأت لينسي ان اساريره انفرجت بعد عبوس، فشعرت انه انما فعل ذلك رغبة منه في عدم اثارتها اكثر مما اثارها حتى الآن. ولكنه حين سار بها في اتجاه اليخت تأكد لها ان اللطف المفاجيء الذي اظهره كان يخفي وراءه نية غير صادقة. وخطر لها ان تحتج وتستغيث وهو يقبض على ذراعها بشدة وعنف، غير انها رأت ان ذلك لا يفيدها في شيء.
وسألته قائلة:
- هل يعلم بحارتك انك متزوج؟
- نعم. لم احاول ان اخفي عليهم ذلك. ولكنهم لا يعلمون ان زوجتي تعيش هنا. اخبرتهم بذلك هذا الصباح... وتأكدي انهم جميعاً تائقون الى التعرف اليك.
فشعرت لينسي برعشة تسري في داخلها، فقالت له:
- انا لا ازال اتمنى لو تغير رأيك، فنتناول طعام الغداء في المدينة يا جرفيس!
فأجابها بصلابة وعزم:
- اتمنى لو تفعلين ما يرضيني وان مرة واحدة يا لينسي. هل تظنين اني سأخطفك اذا صعدت الى يختي؟
فارتعبت لهذه الفكرة التي لم تخطر لها في بال وصاحت:
- لا. لا اظن ذلك يا جرفيس!
وحدق اليها جرفيس، فرأى وجهها الذي علاه الاصفرار وقال:
- وماذا لو فعلت؟ فبعد ان توفيت صديقة والدتك لن يفتقدك احد هنا في هذه الجزيرة... الا خادمتك اذا كان لك خادمة.
وزاد رعبها حين لم يذكر الرجل الذي اتهمها بأنها تساكنه. وحاولت ان تفكر في اختلاق الاسباب التي تجبرها على العودة الى منزلها في اسرع ما يمكن بعد تناول طعام الغداء. ثم قالت له:

ـ موسيتا اكثر من خادمة. فهي ليست كبيرة في السن، ولكنها كانت في خدمة هاربيت لسنوات عديدة، قبل ان اجيء الى هنا. وهي متعلقة بي، فاذا لم اعد اليها فستذهب الى رجال الشرطة... وهم لا يعطفون على الخاطفين...

ـ لكنك نسيت انك زوجتي... والناس في هذه الجزيرة لا يزالون يعتقدون ان الزوج والزوجة يجب ان يعيشا معاً.

وشعرت لينسي انه على حق في كلامه. على ان افكارها المشوشة انصرفت، لحسن الحظ، الى امر آخر، فقالت:

ـ ولكن لا فائدة من خطفك لي... الا ترى؟

وتصنعت الابتسام، ثم تابعت كلامها قائلة:

ـ انت تريد الطلاق... فما لك ولرفقتي اذا كنت تحاول جهدك التخلص مني!

ـ الحق معك. اذن، يمكنك الاطمئنان يا عزيزتي، خصوصاً واني لا اريد ان احرمك من صديقك مدة اطول مما ينبغي. وعليك ان لا تنظري الى كل ما اقول بعين الجد.

وتبين لها من كلامه هذا انه لم ينس حبيبها الذي لا وجود له في واقع الأمر. واثارت ابتسامته الساخرة روح الكراهية له، ولا سيما اصراره على دعوتها الى يخته ليعرضها امام انظار بحارته، وذلك للمزيد من اذلالها.

لزمت الصمت وهي تسير الى جانبه. وبلغا رصيف الميناء، حيث كان اليخت راسياً. وبعد ان حدق جرفيس في وجهها ملياً، دون ان ينطق بكلمة، صعد بها الى اليخت. واستولى عليها الاعجاب به، حتى إنها لم تحفل بنظرات البحارة التي كانت تتأملها بامعان.

وكان اليخت رائعاً حقاً، ويكاد لا يقدر بثمن. وادركت لماذا اتى بها جرفيس الى هنا لمشاهدته، لعلها تندم على ما فعلته وخسرته. وكان جرفيس شديد الكبرياء، ولم يكن انكليزياً قحاً، لأنه كان ذا صلة قربى ببعض الأسر الاوروبية العريقة. فلا عجب ان يكون

الكبرياء في دمه وفي عظامه. وكم كانت لينسي تتساءل في الاسابيع الأولى من زواجهما عن نوع الدم الذي يجري في عروقه!

وهذا ما كان يجعلها ترتجف الآن، على الرغم من حرارة الطقس في ذلك النهار. وشعرت بالارتياح حين قطع جرفيس عليها حبل تفكيرها ودعاها الى الجلوس. وكانت دعوته هذه اقرب الى الأمر منها الى حسن الضيافة.

وابتسم جرفيس في وجهها وهو يسكب لها كوباً من العصير المنعش، ثم قال:

ـ لماذا لا تحاولين الترويح عن نفسك؟

فأجابته وهي تتناول منه كوب الشراب:

ـ كيف لي ان افعل، ونحن سنتحدث عن طلاقنا؟ وهو حديث لا بد منه عاجلاً ام آجلاً.

فتجهم وجهه وقال:

ـ لم يمض على لقائنا اليوم اكثر من ساعة، فلماذا العجلة؟ لدينا متسع من الوقت. واقترح ان نتغدى اولاً، فالطاهي اعد لنا طعاماً شهياً خاصاً على شرفك، ومن الخير ان لا نفقد شهيتنا بمثل هذا الحديث.

٣ - هل يدري ماذا يطلب منها؟ لقد اوقعها في الفخ. وها هي اسيرته. ولكن هذا لا يعني انها، على الرغم من ذلك، لا تشعر بحرارة غريبة تسري في عروقها...

واستغربت لينسي موقف جرفيس، اذ بدا لها منطقياً بحيث لم تستطع الا ان توافقه على كل شيء. غير انها لم تفقد الشعور بأن كل شيء ليس على ما يرام.

وكانت تحدق اليه بامعان، فيما هي تقبض على كوب الشراب وتنظر اليه من دون ان تشربه. وكان جرفيس يرتدي سروالاً ضيقاً وقميصاً شفافاً، مما اظهر كل عضلة من عضلات قامته الفارعة.

وعجبت لينسي كيف انه لا يزال يثير عواطفها على الرغم مما حدث ومن سنوات الفراق الطويلة. ايكون لأنها كانت زوجته، ولذلك يصعب نسيان المشاعر القديمة؟ ولم تكن لينسي تظن انها ستستعيد هذه الذكرى. وحين فعلت الآن، سرت في مفاصلها رعشة باردة خشيت ان تظهر واضحة جلية في عينيها وملامح وجهها.

وكان جرفيس من الخبرة بحيث لا يترك اي مجال لانتقاده. واذن، فلا بد ان يكون افتقار لينسي الى الخبرة، هو الذي حال بينهما. اما الآن، فهل تستطيع ان تكتم شوقها اليه، وهو شوق ارعبها الشعور به على هذا النحو.

وعلا وجنتيها الاحمرار بتأثير هذا التفكير، خصوصاً حين تناول جرفيس كوبه وجلس الى جانبها، وقال:

- بحارتي معجبون بك كثيراً، هل لاحظت ذلك؟

وتمنت لينسي لو انه جلس بعيداً عنها، لكي لا ترى عن كثب صدره العريض وقد انشق القميص عن اعلاه، وهو شيء لم تكن تريد ان تتذكره!

وقالت له:

- وماذا اعجبهم بي؟

- الا تعلمين؟ ام هذا تجاهل العارف؟ ليس كالوجه الجميل يؤثر في الرجال، على ما يبدو لي. ووجهك اكثر من جميل!

- هل هذا كل ما انا في نظرك ... وجه جميل؟

- وهل يقع اللوم علي اذا لم استطع ان اكتشف ماذا يكمن وراءه؟

- ولكنك مقتنع ان لا شيء وراءه يستحق الذكر...

فأجابها ببرودة وفروغ صبر:

- اسمعي جيداً... في ايام شهر العسل الذي قضيناه لم يكن عقلك هو الذي كان محور اهتمامي. وبعد ان هربت مني، بدأت اميل الى الاعتقاد ان عقلك لم يكن سليماً، ولكني ادركت خطأي حين لجأت الى هنا واظهرت هذا القدر من اهمال واجباتك والتمتع بمباهج الحياة...

عضت لينسي على شفتها غضباً، ولكنها آثرت ان تضبط اعصابها لئلا تفشي سرها. فتمالكت نفسها بصعوبة وتمتمت قائلة:

- لم يتح لنا الوقت الكافي ليتعرف واحدنا على الآخر جيداً... كان هنالك والداي وامور اخرى...

وهم جرفيس بأن يجيبها على كلامها هذا بحدة وغيظ، الا انه تردد وقال:

- يبدو اننا عدنا الى حيث بدأنا... فلماذا نفسد علينا هناء هذا النهار؟

ففزعت لينسي من هذا الكلام، على الرغم من انها قررت ان لا تشك في معنى كل كلمة يقولها. ولكنها تمكنت من القول، دون ان يظهر عليها التوتر والارتباك:

- انت دعوتني الى الغداء، لا اكثر ولا اقل...

- هذا صحيح... ولكن قبل ان ننتهي من غدائنا هنا وايصالك الى بيتك، يكون معظم النهار انقضى...

واعترفت لينسي بصواب كلامه، ولكن ذلك لم يخفف من خوفها ان لا تستطيع ان تتحمل الساعات الطويلة المقبلة، وهذا التوتر الشديد قائم بينهما. فهو بدأ منذ اللحظة التي التقته فيها على الشاطىء، ثم اخذ يتزايد من دون ان تعرف مصدره. كانت تعتقد انه الخوف، ولكنها الآن مالت الى الاعتقاد انه ذلك الخيط الذي يشدهما، بعضاً الى بعض، كلما تلاقت نظراتهما.

وادركت الآن، اكثر من ذي قبل، ان جرفيس يمعن في النظر اليها والتأمل فيها. وبالغ في ذلك حين دخلا الى غرفة الطعام، حيث صرف الخدم في الحال وتولى بنفسه اجلاسها في كرسيها حول المائدة، وهو يقول لها بلطف زائد وقد وضع يديه على كتفيها:

- هل انت راضية مسرورة؟

وهزت رأسها علامة الايجاب وهي تنتظر بلهفة ان يرفع يديه عن كتفيها. وخطر في بالها ما اعاد الشك في سلوكه المهذب معها، وهو لماذا يحاول ان يعطي بحارته الانطباع انه يقدر زوجته كل هذا التقدير، في حين انهم يعلمون حق العلم انهما مفترقان منذ سنوات؟

وجلس جرفيس قبالتها على المائدة، وبعد ان تأكد من انها اخذت كفايتها من الطعام والشراب، راح يحدثها عن الجزيرة. وكانت لينسي تحاوره بايجاز وتهمل اكل الطعام الذي امامها. فشهيتها فارقتها وتمنت لو انها تأكل سندويشاً وتشرب كوباً من عصير الليمون وهي على ظهر اليخت. فهي لم تكن معتادة على ان تجلس حول مائدة يحيط بها الخدم بلباس رسمي، خصوصاً وانهم كانوا يمعنون النظر اليها متسائلين كيف يمكن ان تكون هذه الفتاة الرقيقة الجميلة زوجة لرجل كجرفيس بارادين!

وطال جلوسهما حول المائدة، مع ان الطعام كان لذيذاً والخدمة

تفوق الوصف. وشعرت لينسي بالارتياح الشديد حين انتقلا الى غرفة الاستقبال. ولم تكن بعد اعترفت لنفسها ان اقتراب جرفيس منها يؤثر عليها اكثر مما كانت تتوقع. اذ خيل اليها انها في مأمن منه لاقتناعها بأن سنوات الهجر لا بد ان تكون انشأت في داخلها نوعاً من المناعة. والآن، على الرغم من انه كان يكثر من الملاحظات الساخرة، فانها ادركت ان الغضب قد لا يكون الشعور الأقوى في نفسها، ان هي دققت النظر في مجمل مشاعرها نحوه.

ومهما يكن، فانها كانت تأمل كل الأمل ان لا يكون بقي شيء مما كان يجذب واحدهما الى الآخر. وهكذا اخذت تبحث على عجل عن اسباب تبرر لها عدم المبالاة به على الاطلاق.

وفيما هي تتأمله وهو جالس امامها وفي يده كوب الشراب، لاحظت اكثر من قبل انه تقدم في السن. كان هنالك خيوط فضية بين شعره الأسود، وتجاعيد حول عينيه لم تكن واضحة هذا الوضوح حين التقته على الشاطىء امس. فهل يكون انه لم يكن يأخذ قسطه الكافي من النوم؟ ام لعله لم يكن يأوي الى فراشه وحيداً؟

وعزمت في نفسها ان لا تعود اليه مهما كلف الأمر. فهي لا تطيق مغامراته النسائية، هذا مع العلم انه كان شديد الأمانة لها بعد عودتهما من شهر العسل، باستثناء المرة التي وجدته فيها يعانق اوليفيا جيمس في مكتبه.

اما بعد ان هجرته، فلم يكن من الطبيعي لرجل مثله ان لا يروح عن نفسه مع نساء اخريات. واذن، لماذا تعلل نفسها بالأمل في ان تكون له صديقة حتى تتخذ ذلك عذراً لرفض العودة اليه؟

واذا كان هذا صحيحاً، فمن تراها تكون؟ لعلها اوليفيا نفسها، وهو اذا كان يصر على طلب الطلاق، فلكي يتسنى له ان يعقد زواجه عليها.

وقطع جرفيس عليها حبل تفكيرها، فرجعت الى نفسها وخشيت ان يكون قرأ افكارها.

وقالت له:

ـ كنت افكر في اليخت. انه ضخم لرجل بمفرده...

ـ لعلك تريدين القول انه مفرط في البذخ!

فاطرقت برأسها، ثم رفعته قائلة:

ـ هل هو ملكك ام انك استأجرته؟

ـ ملكي. واستعمله للعمل وللاستجمام معاً. ومن حين الى آخر يستأجره مني الاصدقاء، مما يساعد على دفع نفقاته.

ـ وهل انت مضطر الى تأجيره؟

ـ كلا.

وتمنت لينسي لو ان جوابه كان غير ذلك. فمن صالح سين، وصالحها ايضاً، ان يقر جرفيس بافتقاره الى المال.

وقال لها:

ـ هل تظنين اني استعمل هذا اليخت لاستضافة نساء اخريات؟

ورأت لينسي انها اذا اجابت بالايجاب، فانه قد يستنتج من ذلك انها تشعر بالغيرة، ولكن كيف لها ان تنكر هذا الشعور وهو واضح كل الوضوح على محياها؟

فأجابته قائلة:

ـ كنت... كنت اتساءل...

فقاطعها قائلاً:

ـ لا انكر عليك اني استضيف، من حين الى آخر، زوجات اصدقائي من رجال الأعمال مع ازواجهن... ولا يعني هذا شيئاً.

فتمتمت قائلة واحمرار الحياء يعلو وجنتيها:

ـ ولكنك كنت مختلفاً كثيراً فيما مضى...

ـ هل افهم من كلامك انك تتهمينني بالكذب؟ ما جرى بيننا، يا لينسي، لم يكن دائماً ممتعاً. كنت صغيرة السن حين تزوجتك...

وترددت في ما ارادت ان تقول، ولكنها بعد ان بللت شفتيها بطرف لسانها استطاعت ان تتمتم قائلة:

ـ كنت احياناً كثيرة... كثيرة...

ـ الالحاح... اليس هذا ما تريدين قوله؟ واذن لم يكن في استطاعتك ان تتحملي! بربك يا لينسي، هل فكرت مرة ماذا يمكن ان يكون تأثيرك على الرجل؟ الا تدركين اني لم اعاملك بقساوة الا اقل بكثير مما كان ممكناً ان افعل؟ كنت تبكين وتصرخين، ثم تلاحقينني فيما بعد وانت تتوقعين مني ان اجثو امامك على ركبتي... والمشكلة ليست في انك لم تكوني قادرة على ملاقاتي في منتصف الطريق، بل في انك اصررت على الاحتفاظ ببعض الهواجس والمخاوف الكامنة في نفسك!

وفوجئت لينسي بهذا الكلام، فتطلعت اليه بنظرات مضطربة وهي تتساءل: اذن، هذا ما كان يفكر فيه! ولم تنكر ان فيه شيئاً من الحقيقة. فمنذ ليلة عرسهما اخذت تعي ما بدا لها انه تفاقم متزايد لعواطفها الجامحة. وكانت في بعض الأحيان لا تجرؤ على اطلاقها من عقالها تخوفاً مما قد يفكر فيه جرفيس. ولعل هذا ما انطوت عليه ردة فعله نحوها، وما ادى الى الحال التي وصل اليها زواجهما.

وقالت له:

ـ جرفيس...

وبغتة شعرت بأن اليخت بدأ يتحرك، فاستولى عليها الرعب وقفزت من مكانها الى النافذة. ولما تأكد لها ما كانت تخشاه، بدأت تصيح قائلة:

ـ لا.. لا.. بربك يا جرفيس... هذا مستحيل!

وحين التفتت اليه وجدت انه كان يراقبها بامعان، وعلى وجهه امارات اللامبالاة. فقال لها:

ـ ما بك؟

ـ الا تعرف ما بي؟ الا ترى اليخت يبحر؟

ـ نعم، اراه.

ـ والى اين ستذهب بي؟

- لا ادري تماماً. يمكننا ان نذهب في نزهة اذا شئت!

وحاولت ضبط اعصابها، فقد لا يكون في الأمر سوء. ثم انها لم تشأ ان تكون محط هزء وسخرية، فقالت:

- في نزهة؟ لساعة او ساعتين فقط؟

فابتسم وقال متهكماً:

- وربما ليوم او يومين... او حتى لبضعة ايام. فأنا لا اشك في انك تحبين الابحار معي.

- اذا كنت جاداً في كلامك، فأنت ولا ريب مجنون!

- كنت مجنوناً مرة... في حبي لك!

- ولكن ليس الآن؟

فأجابها بفروغ صبر قائلاً:

- يا عزيزتي لينسي... دعيني اعرب عن عواطفي كما اشاء، خصوصاً بعد سنوات الفراق!

فتمتمت قائلة:

- اذن، لن تجد رفقتي ممتعة. وكيف لها ان تكون ممتعة وانت ترغمني عليها؟

- هنالك عدة انواع من المتعة، واقلها اني لن اشعر بالضجر.

وخيل اليها ان قلبها يقفز من بين اضلاعها من شدة الخفقان. وتساءلت: لماذا لا يأتي احد لنجدتها؟ بالطبع لم يكن هنالك احد. كانت وحدها في هذا العالم وبعيدة عن سين، وهو لم يكن في سن تمكنه من ان يعتني بأمره.

وقالت له بلهجة غاضبة:

- يجب ان اعود الى البيت... فمر رجالك بأن يعودوا باليخت الى المرفأ في الحال!

- ليس من عادتي ان اصدر امراً جديداً كل خمس دقائق وانا مبحر... فهذا يؤدي الى الفوضى والارتباك.

قال ذلك وهو يتأمل صدرها ثم اضاف قائلاً:

- لا اظن ان صديقك سيفتقدك كثيراً!

- نعم، سيفتقدني... وكثيراً جداً. وانا سأفتقده ايضاً.

ولم يكن جرفيس من النوع الذي يمكن ان ينخدع بسهولة. فأخذ يركز نظراته على حركاتها وسكناتها، فضلاً عما يلوح على وجهها من امارات الانفعال.

وقال لها:

- وماذا لو جعلتك لا تفتقدينه؟

وهنا ثارت ثائرتها فاخذت تضربه على صدره بقبضتيها وهي تصرخ وتصيح:

- اكرهك... اني اكرهك!

ولم يكن ذلك الا ليزيد في غضب جرفيس ونقمته، فامسكها بعنف وشدها اليه قائلاً:

- يا لك من قطة برية! كان يجب ان ادجنك منذ البداية، بدل ان اتركك وشأنك ريثما تتغلبين على حزنك لفقدان الطفل!

وحدقت فيه بمرارة. نعم، تركها وشأنها. وكان صبوراً عليها، فلم يقترب منها. ولكن شعورها بأنه غير راض عنها هو الذي كان يزعجها اكثر من اي شيء آخر.

وسألته قائلة:

- وماذا كان عليك ان تفعل بي؟ تضربني؟

- ربما. ولكني كنت افكر بهذا...

ومن دون ان يترك لها مجال الرد على كلامه، فاجأها بما كانت تتخوف منه. فشدها اليه وراح يعانقها كما لم يفعل سابقاً، وكأنه في ذلك اراد ان يفهمها انها لم تكن تستحق اللين الذي اظهره نحوها من قبل، بل كان يجب ان يقسو عليها كما اخذ يفعل الآن.

واحست في اعماقها انها تريد الاستسلام اليه، ولكنها كعادتها بدأت تقاوم هذا الاحساس. وما كان من جرفيس الا ان افلتها فجأة، فاخذت تترنح بتأثير عواطفها الهائجة، وهي تحاول ان تتكلم

عبثاً. كان قلبها يخفق بين ضلوعها، كأنما كان وحده القادر على التعبير والحراك.

وبعد قليل من الصمت، بادرها جرفيس الى القول:

ـ هل اقنعك هذا انك ستتمتعين بالأيام القليلة التي ستقضينها برفقتي؟

فصاحت قائلة:

ـ كلا!

وتذكرت سين وابتعادها عنه، فطغت عليها موجة من القلق عليه افقدتها العاطفة التي، على الرغم منها، اثارها في جوارحها عناقه الذي تجاوز، حتى في مخيلتها، كل حد مألوف.

وتضرعت اليه بقولها:

ـ يجب ان اعود... هناك من ينتظر عودتي بفارغ الصبر!

ـ اليس لصديقك الوهمي هذا اسم؟

صديقها الوهمي؟ ماذا يعني بهذا التعبير؟

واختلط عليها الأمر، الا انها بقيت محتفظة بصفاء الظن بعض الشيء، فقالت له وهي تبتعد عنه:

ـ لماذا تتحدث عن صديقي كأنه خرافة؟

ـ لأنه خرافة، أليس كذلك؟

فاتسعت عينا لينسي من شدة الذعر، ولا سيما انها اشتبكت معه في معركة وتعلم انها لن تستطيع ان تربحها. وكان صوته مليئاً بشيء ما، لم تكن متأكدة انه الغضب، ولكنه على كل حال ينذرها بأن الخط الذي تسير عليه في الدفاع عن نفسها لن يؤدي بها الى النتيجة التي كانت تتوخاها. على انها لم تبال كثيراً لاعتقادها انه، مهما كانت الحال، سيقتنع بضرورة العودة بعد حين الى الجزيرة، ثم الى منزلها، ولن يريد بعدئذ ان يراها مرة اخرى.

وقالت له بغيظ شديد:

ـ كيف تسمح لنفسك ان تتجسس علي؟

فأجابها ضاحكاً:

ـ وهل كنت تتوقعين مني ان لا افعل؟ ولكني، على الاقل، فعلت ذلك بنفسي، وكان في وسعي ان استخدم جاسوساً محترفاً.

وحدقت اليه وقد غلبها تكبره وعنفوانه، وقالت:

ـ لم اشاهدك هناك...

ـ كنت نائمة!

ـ نائمة؟ ولكني افقت...

ـ نعم، رأيتك تتقلبين في سريرك الصغير.

ـ ولكن لم يكن احد هناك... بحثت جيداً!

ـ الم يخطر لك ان اكون انا بالفعل؟

ـ كلا، ولكني احسست ان هنالك شيئاً غير عادي، ثم حاولت ان اقنع نفسي باني كنت احلم. وعلى كل حال، فليس لك الحق ان تتجسس علي بهذه الطريقة.

ـ خففي عنك، فنحن امام قرار خطير، لا مجرد لعبة نلهو بها. كان علي ان اجد مبرراً قانونياً للطلاق، فيما اذا لم ينجح مبرر الهجر.

ـ ولذلك رأيت ان تذهب الى المنزل لتتأكد من وجود رجل؟

ـ نعم، ولماذا كل هذا الشعور بالاستياء والمهانة؟ الانك كذبت بخصوص الصديق الذي لم يكن له اثر؟ والآن اخبريني، هل هنالك رجل في حياتك؟

ـ كلا.

ـ وهل كان لك يوماً؟

ـ هذا شيء يجب ان تكتشفه بنفسك، وهو لا يكلفك كثيراً من المشقة، نظراً الى موهبتك الخارقة في التجسس!

تجهم وجهه وتصلبت ملامحه حتى كادت لينسي تصرخ من الذعر، فاستدركت قائلة:

ـ نعم، كان هناك رجل في حياتي...

ـ والآن، بعد وفاة هاريت؟

ـ كلا. اما قلت انت ان الانسان يستطيع ان يستغني عن الجنس الآخر؟

ـ الا اذا اصبح الأمر ضرورة قصوى!

وفجأة عادت الى عالم الواقع، فتذكرت سين وادركت ان اليخت في هذه الاثناء قطع مسافة بعيدة. فهل كان جرفيس يلهيها بالحديث الى بلوغ نقطة اللارجوع؟

فما كان منها الا ان صاحت به قائلة:

ـ ارجوك يا جرفيس... اريد ان اعود الى البيت. لا اظنك تريد ان تبقيني معك هنا مدة اطول. لعبت لعبتك معي وربحت، وارعبتني الى حد جعلتني افشي سري.

ـ هل كنت تعتقدين ان وجود صديق يبعدني عنك؟

ـ نعم.

ـ ومن قال لك اني تائق الى ان اخذك بين ذراعي مرة اخرى؟ والا لما لجأت الى كل هذا العناء.

ـ وهل هذا امر مهم؟

قالت هذا واسرعت نحو الباب، فامسك بذراعها واوقفها في مكانها بعنف. وكان هذه المرة مستعداً لها، فلم تستطع ان تطيل المقاومة، لأنه سرعان ما جعلها تكف عنها...

وقال لها:

ـ اليس هذا افضل من ان تقاوميني من دون جدوى؟ ولماذا كل هذه السرعة للعودة الى البيت...

فتمتمت قائلة بتضرع:

ـ آه يا جرفيس، ارجوك!

وكان وجهها شاحباً، وعيناها تناشدانه الشفقة والرحمة، اذ ماذا ينفع الكبرياء الآن؟ كان سين هو الذي على المحك.

وتابعت قائلة:

ـ انا على استعداد لأفعل اي شيء!

ـ اي شيء؟

ـ نعم، اي شيء.

فقال والابتسامة الساخرة على شفتيه:

ـ وهل تدركين تماماً ماذا تقولين؟

وكانت ملامح وجهه، على صعوبة تفسيرها، كافية لترسل القشعريرة في عروقها، غير انها اضطرت الى الاجابة بالايجاب، رغم البرودة التي استولت عليها. كان جرفيس قوياً وصارماً، ولكنه لم يكن محباً للظهور، بحيث يفكر بشيء يكون محرجاً لها وله.

على انها ادركت، وهي تراه يحدق اليها بعينين نصف مغمضتين، انها كانت ترتجف. فقالت له:

ـ لن امانع في الطلاق يا جرفيس، وانت تعرف ذلك، كما اني لن امانع في اي شيء يتعلق به. ولن اطلب مالاً، ولن اسعى الى لقائك مرة اخرى في حياتي، اذا كان ذلك يزعجك.

فاجابها بلهجة رقيقة:

ـ لا، ليس هنالك شيء من هذا في خاطري، فلا تخافي. كنت فقط افكر ان اطلب اليك ان تقضي بعض الوقت معي في غرفتي.

ـ في غرفتك؟

وقع ذلك في نفسها وقوع الصاعقة، فتابعت قائلة بغيظ شديد:

ـ لا اظنك الا مازحاً... اذ لا يعقل ان...

فلم يتركها تنهي كلامها، بل قاطعها قائلاً:

ـ انا لا امزح، خصوصاً في مثل هذه الأمور. كل ما في الأمر هو اني اعرض عليك اقتراحاً، فاذا قبلته رجعت الى بيتك الليلة.

وكان على لينسي ان تضبط اعصابها، وان لا تدع الذعر يضعف موقفها كثيراً، فقالت له:

ـ لم اقض وقتاً في غرفة رجل من قبل...

ـ ولكن تذكري يا لينسي اني لست مجرد رجل من الرجال، وانما انا زوجك!

فصاحت به:

ـ كلا، لست زوجي... شرعاً، نعم. ولكن الى ان نحصل على وثيقة الطلاق. واذن، فالأمر لا قيمة له...

ـ بل، له قيمة في نظري.

ـ وماذا تكون ردة فعل بحارتك؟

فصاح بها وقد اخذت ملامح وجهه تتصلب:

ـ اما قلت لك ان بحارتي رجال يتقاضون اجرة لقاء عملهم معي، ولا يطلب منهم ان يكون لهم اية ردة فعل على اي شيء افعله؟

فسارعت الى الرد عليه بالقول:

ـ كفاك تحريف كل ما اقوله لك يا جرفيس في سبيل خدمة مآربك. انت تعلم ان رجالك لا بد ان يتساءلوا عن سبب خلوتنا وهم يعلمون اننا منفصلان من زمن طويل!

فأجابها بنبرة صارمة:

ـ لا اريد ان اجادلك في هذه المسألة. اعطيتك انذاراً، فلك ان تقبليه او ترفضيه.

وبدا لها من نبرة صوته كأنه يساوم على صفقة تجارية. افلا يدري ماذا كان يطلب منها؟ وكيف لها ان تقبل طلبه هذا الذي يواجهها به عن سابق تصور وتصميم؟ وحين عانقها منذ حين لم يفعل ذلك بوله وحرارة، وانما عانقها بقساوة شديدة، لا اثر للعاطفة فيها. ولكن هذا لا يعني انها، على الرغم من ذلك، لم تشعر بالحرارة تسري في عروقها. ومهما يكن، فالمخاوف الآن اخذت تساورها.

وتذكرت عمق تجاوبها معه في شهر العسل، ولكنها اليوم تغيرت واصبحت اكثر رهافة وحساسية، برغم تقدمها في السن. كان جرفيس الرجل الوحيد الذي عرفته معرفة حميمة، ولكنها لم تعد ساذجة كما كانت عندما تزوجها. فهي الآن تخشى ان لا يكون في وسعها ان تضبط عواطفها كما كانت تستطيع ان تفعل سابقاً.

وفيما افكارها تتأرجح بين الاطمئنان والخوف، قالت بصوت مشوب بالذعر:

ـ انت تعاملني كما لو كنت امرأة التقطتها عن رصيف الشارع.

ـ هنالك لقب لمثل هاتيك النساء!

وادركت انه يسخر من تحفظها السخيف، غير انها هزت برأسها علامة الايجاب وقالت:

ـ اعرف ذلك.

ـ هل من اهمية في كيف اعاملك؟ وما الذي يجعلك تستحقين الاحترام اكثر من تلك النساء؟ كل ما يمكن قوله هو انك تستحقين ما تنالينه...

فصرخت في وجهه قائلة:

ـ يا لك من وغد!

فاجابها قائلاً ببرودة اعصاب:

ـ لم يعد رأيك فيّ يجرح كرامتي!

ـ انا واثقة من ذلك. وهو امر لا استطيع فهمه. انت لا تحبني، فأي معنى في ان اكون معك؟

فبادرها الى القول:

ـ انت تنظرين الى هذا الأمر من زاوية المرأة... فالرجل ينظر اليه من زاوية مختلفة.

ـ هل تعني ان لا حاجة به الى ان يكون مغرماً بالمرأة؟

فقاطعها قائلاً:

ـ نعم، هذا هو الواقع تماماً!

ونظرت اليه بعينين لا تخفيان الألم الذي في جوارحها، وتساءلت هل تستعطف الجانب الآخر من طبعه، فقالت:

ـ واذن، فانت تعرف ما يعني ذلك بالنسبة الى المرأة. ولا اظن انك تريد ان تجور عليّ...

فرفع حاجبيه قليلاً، ثم اجاب بشيء من التهكم:

ـ لا اظن ان ما اطلبه منك سيكون سيئاً الى الحد الذي تتوهمينه يا صغيرتي. فانا لا ازال اتذكر كيف يمكنني ان اثير عواطفك، على الرغم من اني لم انجح في ذلك كما كنت اطمح.

وثارت عندئذ ثائرة لينسي، فرفعت يدها وصفعته على وجهه بغيظ شديد، وصاحت به:

ـ يا لك من وحش مفترس! لن اقترب منك ولو ملكتني كنوز الدنيا. فأنا اكرهك... اكرهك.

ورددت ذلك مراراً، وهي تنهال عليه بالضرب وترفسه ايضاً بقدمها.

وكان جرفيس يتجنب الضربات، فيميل عنها شمالاً ويميناً. وهوت لينسي الى الأرض فتلقاها قبل ذلك فلم تقاوم، بل صرخت في وجهه بصوت انهكه الذعر والغيظ:

ـ لن افعل ما تطلبه مني... لن افعله ابداً.

فاجابها بهدوء:

ـ اذن، سنقضي بضعة ايام للنزهة، واعدك ان لا ازعجك في غضونها.

فاغمضت عينيها وحاولت ان تستوعب معنى كلامه. ولكن ماذا عن سين؟

وصاحت به قائلة:

ـ لا. اعطيك اي شيء، شرط ان اعود الليلة الى بيتي.

ـ وهل انت جادة في ذلك؟

ـ نعم.

ولم يبد اي حراك، بل اخذ يتأملها ملياً وهو يقول:

ـ لن يكون لديك الوقت الكافي لتغيير موقفك هذا، بعد ان تقبلي... اتدركين ذلك؟

فأشارت برأسها علامة الايجاب.

٤ - رأت لينسي انها اذا ارادت ان لا تلحقها المهانة من هذه المواجهة، فعليها ان تطيعه. شعرت ان خلاصها الوحيد هو في ان تتحول الى قطعة من الجليد!

ما عاد لأي شيء قيمة في نظر لينسي. كانت مرهقة بعد ذلك النزاع الحاد مع جرفيس، ومهزومة ايضاً ولا قدرة لها بعد على مواصلة الصراع حتى لو شاءت. هزمها كعادته دائماً من قبل حين سكنا معاً في لندن، وكان يمسك في يده الورقة الرابحة. اما الآن فلم يكن يعلم ما الذي جعلها تقر وتعترف بالهزيمة، وهذا ما منحها بعض العزاء.

ومع انها تمنت ان يتركها، الا انها كانت في حالة من الذعر منعتها من ان تحاول الافلات. وضمها اليه بشدة، ربما رغبة منه في سلامتها، وهما يجتازان الممرات والسلالم الضيقة نزولاً الى الغرفة. وحين وصلا اليها، خيل الى لينسي انها في غرفة النوم في فندق من الدرجة الأولى، لما كانت عليه من الفخامة والسعة.

واغلق جرفيس الباب، ثم اقفله ولكنه ترك المفتاح في القفل. فلا احد كان يستطيع الدخول، ولا هي كانت ترغب في الخروج من دون ارادته، اذا كان لها ان تعود الى بيتها في ذلك النهار.

وكانت تشعر بقلبه يخفق بسرعة قرب قلبها. وخبأت رأسها بين كتفيه لاعتقادها ان اخفاء وجهها وتغميض جفونها هما السبيل الوحيد للدفاع عن نفسها. وتنفست الصعداء، وصرت بأسنانها في محاولة لتجميع قواها التي كانت تخونها بسرعة.

وفوجئت بجرفيس وهي تستعد لاستقبال هجمته، يقول لها من

غير مبالاة:

ـ انتظريني بضع دقائق حتى استحم. كنت في بورت لويس طوال الصباح، واشعر اني بحاجة الى الاغتسال. هذا بالاضافة الى انك كنت حريصة على النظافة كما اذكر.

واضطربت لهذا الكلام، على الرغم من انها كانت بحاجة الى الانفراد بنفسها ولو بضع دقائق. وتمنت لو يغرق في حوض الحمام...

وتابع قائلاً لها:

ـ ولماذا لا تستحمين انت ايضاً؟ لعلك تستعيدين ما يمكن ان تكوني فقدته من الحيوية والنشاط والمرح.

ـ بل فقدت الكثير.

وتجاهل جوابها هذا، واستمر على ممازحتها قائلاً:

ـ اذا كنت تفضلين ان تستحمي، فهناك حمام آخر خلف ذلك الباب.

ورمقها بنظرة تنم عن عاطفة تتأجج في داخله فارتبكت كثيراً، وعلى الاخص لنبرة اللامبالاة التي كانت في صوته. وتساءلت كيف يحق له ان يخاطبها هكذا؟

وقالت له ببرودة:

ـ قد اكون بحاجة الى غسل يدي.

فاجابها وكأن كلامها لم يفاجئه:

ـ كما تريدين.

ثم تركها واتجه نحو غرفة الحمام. ولاحظت انه ابقى المفتاح في باب الحمام الخارجي، وانه لم يغلق الباب الداخلي.

ولحقته لينسي بنظراتها وهي تشعر بالمرارة. هل كان واثقاً من انها لن تلجأ الى بحارته طلباً للنجدة؟ ونظرت الى يديها المرتجفتين، ثم شدت قبضتيها في محاولة لتجميع قواها. وادركت ان عليها، مهما كلفها الأمر، ان تحتفظ برباطة جأشها. فهي لن تكون المرأة الوحيدة

التي اضطرت ان تتحمل المهانة من رجل لا تحبه. وما عليها الا ان تصرف تفكيرها عما يجري لها. فاذا وجدها جرفيس كقطعة من الجليد، فقد يتركها وشأنها.

وجالت بنظراتها الشاردة في انحاء الغرفة مرة ثانية. كان اثاثها فاخراً ومسمراً في الأرض. وبدا لها انها عش مثالي للمواعيد الغرامية. فكل شيء كان من اجود الاصناف واجمل التصاميم. وخيل اليها ان جرفيس اراد ان يريها كم كانت خسارتها جسيمة بتركها له منذ اربع سنوات.

نهضت بصعوبة الى غرفة الحمام الأخرى، فاكتفت بغسل وجهها ويديها وهي تتمنى لو تستحم، ولكنها لم تجرؤ على مثل هذه المجازفة. كانت تعلم من خبرتها الماضية ان جرفيس في وسعه ان ينتزعها من حوض الماء، حتى قبل ان تلف نفسها بالمنشفة. قد لا يفعل ذلك الآن، غير انها لم تشأ ان تجازف. وبعد ان جففت يديها ووجهها، سرحت شعرها بالمشط وعادت الى الغرفة وجلست في مقعد هناك.

وكان جرفيس خرج واخذ يجول في غرفة النوم التي اصبح بابها الآن مغلقاً. وكانت لينسي تأمل ان غسل وجهها ويديها وانفرادها بنفسها قد يخففان عنها. على انها اكتشفت ان عزيمتها لا تزال خائرة، وان جسمها يرتجف. ووبخت نفسها على ذلك، خصوصاً لأن جرفيس لم يكن غريباً عنها، ناهيك بانه كان ولا يزال زوجها.

وعضت على شفتيها حين مالت الى الاعتقاد ان التعقل لم يكن يجدي نفعاً في الوضع الراهن، خصوصاً وانها وجدت ان جرفيس، رغم طول الفراق والنقمة التي تكمن في صدرها عليه، بقي قادراً على اثارة مشاعرها. وشعرت بالذعر امام هذه الحقيقة، وخشيت من ان تنطلق تلك المشاعر من عقالها. ولذلك صلت الى الله في قلبها ان يجعلها قادرة على الاحتفاظ ولو ببعض ما كان لديها قبلاً من تكتم وحذر. اما كان يبحث عنها للحصول على الطلاق، مما يعني انه كان يتوق بفارغ الصبر الى التخلص منها؟

ودخل جرفيس الغرفة وهو يقول لها:

ـ ما هذا يا لينسي؟ لماذا انت متوترة الاعصاب؟ كل ما اريده هو ان تتمتعي بنهار سعيد في رفقتي، بقدر ما انا سأتمتع به.

وحدقت اليه وهو امامها بملء قامته، فاعترتها رعشة اخذت تتحول الى قشعريرة كلما تأملت في جسمه المتناسق الجذاب. وتأهبت لتتلقى هجومه، الا انه لم يفعل ذلك في الحال، بل جلس وبدأ يعد لها مكاناً بقربه.

وقال لها بلطف:

ـ تعالي. هنا ترتاحين اكثر مما ترتاحين في المقعد الذي تجلسين فيه.

وحين لم تفعل كما امرها، صاح بها قائلاً:

ـ لينسي!

ورأت لينسي انها اذا ارادت ان لا تلحقها المهانة من هذه المواجهة، فعليها ان تطيعه. فنهضت من مكانها واتجهت نحوه وهي تشعر بوهن في مفاصلها. وشعرت ان خلاصها الوحيد هو في ان لا يجدها جذابة، اذا هي تمكنت من ضبط عواطفها ورفض التجاوب معه.

وجلست الى جانبه، فالتفت اليها قائلاً:

ـ الا تتكلمين معي؟

ـ بماذا اكلمك وليس لدي ما اضيفه على ما كلمتك به حتى الآن؟ ويبدو لي ان الكلام معك لا يفيد، وانا لن اتضرع اليك ان تتركني وشأني!

ـ يوماً ما ستفعلين، اما الآن فاكتفي بما سأحصل عليه منك.

ـ كنت دائماً ماهراً في الحصول على ما تريد يا جرفيس!

ـ اما انت، فلم تكوني ماهرة في العطاء.

ـ بلى، اعطيتك كل ما اردته.

ـ ليس على النحو الذي اردته... اي بدون شروط. كنت دائماً

تحتفظين بشيء منك تبخلين به علي!

ـ يؤسفني انك تنظر الى الأمر بمثل هذه النظرة.

ـ كان ذلك فيما مضى، اما الآن فلن اقبل بها.

فلم تتحرك لينسي ولم تجب بشيء، فلماذا العناء؟ ونظرت الى يديها، فوجدت انهما لا تزالان ترتجفان.

وفوجئت به يقول لها:

ـ الا تنوين ان تنفذي صفقتنا؟

ـ صفقتنا؟

ـ نعم، الا اذا كنت تفضلين ان افعل ذلك عنك، فنحن عقدنا صفقة، اتذكرين؟ وان كنت تريدين تغيير رأيك، فمن السهل علي انا ايضاً ان اغير رأيي، لديك مهلة بضع دقائق فقط.

وارعبها هذا التهديد السافر، فلم تر بداً من الانصياع. وجدت نفسها تقبض على الكرسي بكلتا يديها وتشده اليها بعصبية وذعر.

وكان جرفيس يراقبها بازدراء، ثم وضع يديه على كتفيها النحيلتين وجذبها اليه قائلاً:

ـ دعيني اساعدك.

فصاحت به وهي تحاول ابعاده عنها بغيظ شديد:

ـ لا تلمسني... اياك ان تلمسني!

فما كان منه الا ان شد على كتفيها بقساوة جعلتها تتوقف عن الحراك، كشاة تساق الى الذبح. وقال لها:

ـ اما انذرتك ان لا تقاوميني لئلا تندمي؟

ثم اخذ يداعب وجنتيها وهو يتأملها ويقول:

ـ انت الآن لا صديق لك، فهل خطر ببالك ان يقع اختيارك علي؟

فرفعت لينسي وجهها والشرر يتطاير من عينيها وقالت:

ـ ما يخطر ببالي ليس من شأنك ابداً. وعليك ان تعلم انك لا تستطيع ان تتغلب علي الا قهراً. فأنا سيدة نفسي ومصيري.

www.elromancia.com

فبادرها الى القول:

ـ هذا صحيح ما دام لا صديق لك، فالى ان يتم الطلاق لا اريد ان يلحق باسمي العار والهوان.

وتلاقت نظراتهما وهي تقدح شرراً. واخذ قلب لينسي يخفق، غير انها اخذت تشعر بالعاطفة الغريبة ذاتها التي شعرت بها حين التقت جرفيس على الشاطىء وحين كانت منذ لحظات جالسة في غرفة الاستقبال. كانت نشوة غريبة لم تشعر بها من قبل في حياتها، والذي اثار استياءها اكثر ما يكون هو ان هذه النشوة كانت تبلغ اوجها كلما تلاقت نظراتهما. فكأنما كان هنالك رباط خفي يربط بينهما، ولا شيء مما حدث او يحدث لهما يستطيع ان يقطعه ويزيله.

وقالت له:

ـ انت تعلم اني اقدر ان احتفظ باسمك، حتى بعد الطلاق.

ـ ولكني سأحرص كل الحرص على ان اذيع على الناس ان لا علاقة لك بي. وبعد اليوم لن اراك ابداً.

ـ هذا يسرني كل السرور!

وكأنه لم يسمع جوابها، فتابع كلامه قائلاً:

ـ ويجب ان اتأكد من حصولك على شيء تتذكرينني به.

ـ ولكن ارجو ان يكون ساراً.

ـ تعلمت من خبرتي في الحياة ان الاشياء غير السارة هي التي يتذكرها الناس اكثر من السارة!

وقبل ان تحاول الاحتجاج على كلامه، عانقها بشراسة المنتقم، حتى كادت تحس ان اضلاعها تتكسر. وسرها انها، على الرغم من ذلك، تمكنت من ابقاء ذراعيها الى جانبيها، وبذلك منعتهما من الالتفاف حول عنقه دليلاً على الرضى.

غير انها تساءلت الى متى يمكنها ان تقاوم؟ رفع جرفيس رأسه قليلاً ونظر اليها يتمتم قائلاً بخبث:

ـ هل غيرت فكرك؟

فبلعت لينسي بريقها وهي تشعر بالهزيمة والانكسار. ومع انها ازدادت كراهية له، خصوصاً لنبرة صوته وشماتته بها، الا ان قدرتها على مقاومته استنفدت، ولم يبق امامها سوى ان تنظر اليه بعينين انهكتهما المذلة والألم النفسي معاً.

جعلها تشعر كأنها معلقة بين السماء والأرض. واغمضت عينيها في محاولة لنسيان كل شيء واطفاء اللهيب الذي اخذ يستعر في عروقها. وفي هذه اللحظة تركها جرفيس فجأة وابتعد عنها.

وانقضت ثوان قبل ان تدرك انها اصبحت وحدها. فحارت في امرها وبقيت هكذا دون حراك. الا ان يديها ارتفعت عن غير وعي منها، وامتدتا في طلبه. غير انها فوجئت بالفراغ الذي يحيط بها، وبصوت جرفيس يعيدها الى الواقع بقوله:

ـ انهضي يا لينسي وانتظريني في غرفة الاستقبال. غيرت رأيي وقررت ان اعيدك الى بيتك في الحال.

وحدقت اليه غير مصدقة كلامه. وسرت البرودة في جسمها وهي تتساءل ماذا جرى حتى غير رأيه فجأة. وتذكرت كم كان يريدها منذ لحظات.

وكرر كلامه قائلاً:

ـ افعلي ما آمرك به يا امرأة، قبل ان اغير رأيي مرة ثانية...

وكانت نبرة كلامه من الصلابة والقساوة، بحيث جعلها تنهض مذعورة وهي ترتجف. ووقفت والحذر يسري في مفاصلها الواهنة.

وحاولت ان تنطق باسمه ولكنها لم تستطع ان تخرج الصوت من بين شفتيها المعذبتين. ولم تكن تدري ما تقول، غير انها شعرت بالحاجة الى مخاطبته. وساد جو من التوتر في ارجاء الغرفة وهي تحدق اليه بصمت مطبق. وصعب عليها ان تصدق ان جرفيس قرر ان يخلي سبيلها، وفي حين سرها ذلك، الا انها شعرت بالغصة في قلبها وارادت ان تعرف لماذا نبذها، كأنما كان ذلك على جانب كبير من الخطورة في نظرها.

وسمعت صوته يصيح بها:

ـ اخرجي من هنا في الحال يا لينسي!

ولم تستطع في هذه المرة ان تغادره بالسرعة الكافية. وحين مرت به في طريقها الى الخارج، نظرت الى وجهه، فاذا به متجهم يبعث الذعر. ولذلك آثرت ان لا تخاطبه وتسأله لماذا غير رأيه وتركها وشأنها، مخافة ان يستنتج من ذلك انها لم تكن راضية، واذن فهي راغبة في وصاله والعودة اليه.

وفي غرفة الاستقبال جلست تنتظره وهي متوترة الاعصاب. وفتحت حقيبة يدها واخرجت مشطاً وحاولت ان تعيد شيئاً من الترتيب الى شعرها المبعثر. وبعد نحو عشر دقائق سمعت صوتاً عند الباب، فالتفتت واذا بالخادم مقبل يحمل اليها الشاي. ولاحظت انه لم يكن على الطبق الفضي غير فنجان واحد، فأين جرفيس اذن، ونسي الخادم ان يخبرها انه سيأتي اليها بعد حين، ولكنه اخبرها ان اليخت سيعود الى بورت لويس لقضاء الليلة هناك.

ولم يكن، الا بعد ان وصل اليخت الى بورت لويس والقى مرساته في الميناء، ان رأت جرفيس مرة اخرى. وكان الظلام بدأ يخيم حين جاء اليها ليقودها الى اليابسة، وعند وصولهما الى القرية كان الظلام اصبح حالكاً. ولم يتبادلا سوى بضع كلمات وهما في طريقهما الى هناك، وهذه الكلمات لم تكن سوى للمجاملة. وكان جرفيس مقطب الجبين ويشعر بالاشمئزاز الشديد.

وتعجبت لينسي كيف انها لم تتذكر سين منذ ان نزلا من اليخت، بل كان جرفيس وحده يملأ كل تفكيرها وهي جالسة بقربه في السيارة. ورجت ان تجد سين بخير حين تبلغ الكوخ.

ولما اوقف جرفيس السيارة امام الكوخ، لم تستطع ان تنزل منها بسرعة كافية. كانت منشغلة الذهن وتحس بألم عميق في داخلها. وتساءلت لماذا تتلكأ في مفارقة جرفيس على الرغم من قلقها على ولدها سين.

ونزلت من السيارة، وما كادت تخطو خطوة الى الأمام حتى فوجئت بجرفيس يأخذ بذراعها ويوقفها في مكانها.

وقال بسخرية:

ـ انك تهربين مني كالعادة. هل خطر ببالك اننا لن نلتقي بعد الآن؟

فأجابت من دون ان ترفع نظرها اليه:

ـ نعم.

ـ اذن وداعاً يا لينسي، آسف لما جرى اليوم بيننا، ولكني اشعر بالارتياح لأني وجدتك بعد طول فراق. والآن سأسرع في اجراء معاملة الطلاق، وهو ما كنت مزمعاً ان احدثك عنه لو لم ننشغل بالحديث في امور اخرى. وعلى كل حال، لم يكن في ذلك اية خسارة، ثم انه ليس هنالك عندي ما اقوله في هذا الموضوع سوى انني سأخصص لك نفقة تكفي لاعالتك، هذا اذا وافقت على الطلاق. وسيتصل المحامي بك في حينه، وكوني على ثقة انني لن ادعك تجوعين!

وودعته لينسي بسرعة وهي مستاءة للهجته اللامبالية الجافة، ثم ركضت الى البيت.

وسرها انها وجدت سين في الفراش يغط في نومه. فتأملت وجهه الصغير والدموع تملأ عينيها، ثم التفتت لترى موسيتا خارجة من الغرفة وهي تقول بلهفة:

ـ آه يا آنسة لينسي، كم كان قلقي شديداً عليك...

ـ انا آسفة يا موسيتا... وكنت ايضاً قلقة عليك وعلى سين.

ـ سين؟ انه بخير. كان يسأل عنك ويتوقع ان تعودي الى البيت في وقت باكر.

ـ حدث ما اخرني الى الآن...

ـ حاولت ان اشرح له الأمر واطيب خاطره ما استطعت، ولكن انت تعرفينه وتعرفين كم هو مستقل الرأي.

ـ ليس هذا فقط، فهو يضجر بسهولة ولا يكتفي بالرمل والبحر كمعظم مجايليه من الأولاد. وعلى كل حال، سأعوض عليه غداً ما فقده اليوم.

والآن، وقد اطمأنت على سين، اتجه تفكيرها مرة اخرى الى جرفيس. وتذكرت كيف انه لم ينظر اليها الا نظرة عابرة سريعة حين ودعها. وكان يتصرف بتهذيب كرجل غريب عنها. ولماذا غير رأيه في غرفة اليخت؟ هل كان ذلك بسبب امرأة اخرى في حياته؟ ام انه ادرك في آخر لحظة ان عمله كان سيؤدي الى احراج الجميع؟

وظلت لينسي تشعر بالبرد وهي في فراشها. ولم تستطع ان تستسلم الى النوم، وفي الصباح وجدت نفسها غير قادرة على مواجهة سين والاجابة على اسئلته الكثيرة بشأن غيابها عنه والاسباب التي حملتها على ذلك.

وقال لها سين:

ـ الا تأخذيني في نزهة اليوم؟

وكادت لينسي تعده بذلك، لو لم تتذكر انه كان عليها ان تذهب الى مقابلة محامي هاربيت، لأنها كانت على موعد معه. وشعرت بالضيق لأنها ستعود الى بورت لويس في ذلك النهار ايضاً، وهذه المرة ليس بالراحة التي وجدتها في سيارة جرفيس.

وقال لها سين:

ـ اريد ان ارافقك يا اماه، واعدك بان اكون هادئاً ومهذباً كل التهذيب.

وراحت لينسي تشرح له، وهي تتأوه، كيف انها لا تستطيع ان تصطحبه معها. غير انها لم تصارحه الحقيقة، وهي انها كانت تخاف ان يراه جرفيس الذي كان ولا شك لا يزال في الجزيرة.

وقالت له وهي راكعة امامه:

ـ اسمع يا حبيبي. اعدك ان تكون هذه آخر مرة اذهب فيها الى مكان ما ولا آخذك معي. ارجوك الآن ان تنتظرني هنا حتى اعود،

وموسيتا ستعتني بك وتلاعبك كما تشاء.

ـ ولكنك ستتأخرين في العودة هذه المرة ايضاً!

فابتسمت له وهي تجيبه قائلة:

ـ لا يا حبيبي. سأبذل جهدي لأعود في اسرع وقت.

وهكذا ودعته واستقلت الباص الى بورت لويس. وكان الركوب فيه غير مريح كالعادة. كان مزدحماً بالركاب من كل لون وصنف، وكان الطقس حاراً في ذلك الوقت من النهار. وصعب على لينسي ان تتحمل ذلك كله، خصوصاً بعد الذي عانته في اليوم الفائت. وبذلت جهدها لتجميع قواها، وراحت تتأمل في الطبيعة الساحرة التي كانت تمر بها وهي تنظر من نافذة الباص. كانت في الماضي تفرح وتبتهج بذلك، ولكنها اليوم كانت حزينة ولا ينفع في ايقاظها على الفرح والبهجة شيء.

وفكرت في الذهاب الى السوق لشراء حاجة لسين. ولكن ما هي؟ وقضت بعض الوقت في استعراض انواع الالعاب التي يستسيغها ذوقه الذي اصبح يكلف كثيراً لولد في مثل سنه. فالمشكلة في سين هي انه كان ينمو بسرعة فائقة، مما جعلها تشعر بالقلق، خصوصاً لأنها تعلم انها لن تنجب ولداً سواه.

ولكن كيف لها ان تتأكد من ذلك؟ وحين نزلت من الباص، صرفت عنها هذه الفكرة. غير انها عادت اليها وهي تحدق الى انعكاس هيئتها في زجاج واجهات المخازن الكبرى. فتساءلت كيف يمكنها ان تتأكد من انها لن تنجب اولاداً في المستقبل؟ ولماذا لا ؟ فهي امرأة شابة وجذابة وتسترعي انتباه الرجال وهي تسير في شوارع المدينة. غير ان ذلك لم يكن يقلقها، بقدر ما كان يقلقها انها لم تكن تشعر بشوق الى مبادلة الرجال اعجابهم بها، ولا بالرغبة في معاشرة واحد منهم، كائناً من كان، ربما تفعل ذلك في المستقبل، من يدري؟

اتصلت بالمحامي حال وصولها الى بورت لويس، فقيل لها انه سيتأخر في المجيء الى مكتبه، ولذلك لن تستطيع مقابلته الا بعد

الساعة الرابعة بعد الظهر. فهل تنتظر الى ذلك الحين؟

وقررت ان تنتظر مجبرة، على الرغم من صعوبة الانتظار. اذ لم يكن لديها ما تفعله لتمضية الوقت. ولكنها رأت ان تغتنم هذه الفرصة في الذهاب الى الميناء لترى اذا كان يخت جرفيس لا يزال هناك. فذهبت ولم تجد له اي اثر. كان في الميناء كالعادة عدد كبير من السفن والمراكب، ذلك لأنه كان ميناء شهيراً وملتقى الاجناس والثقافات، نظراً لجمال الجزيرة واقبال السواح عليها من جميع الارجاء.

وارادت لينسي ان تتأكد من ابحار اليخت، فسألت رجلين عجوزين من البحارة، خيل اليها انهما قضيا كل حياتهما في ذلك الميناء، فأجاباها انه ابحر في ذلك الصباح. فشكرتهما ولم تكتف بجوابهما، بل رأت ان تذهب وتسأل شركة النقل التي استأجر منها جرفيس تلك السيارة التي اقلتهما البارحة الى منزلها في القرية. فقيل لها هناك ان السيد جرفيس بارادين ارجع السيارة التي استأجرها، وهذا كل شيء.

وهكذا تأكدت لينسي ان جرفيس غادر الميناء. ولكن لماذا لم تشعر بالارتياح، بل على العكس شعرت بالضيق وبالغم يستولي على قلبها؟ اليس هذا ما كانت تتمناه، وهو ان يتركها وشأنها فلا يزعجها بعد الآن، ولو بحضوره الفعلي على الأقل؟

وفجأة سمعت صوتاً وراءها يصيح:

ـ صباح الخير يا لينسي بارادين!

فالتفتت الى مصدر الصوت لترى مارك لينيير ابن صاحب مزرعة للسكر في الجزيرة.

وبعد ان بادلته التحية، قال لها:

ـ ارجو ان تكوني سررت بلقائي... هل وصلت الى هنا الآن، ام انك في طريقك الى مكان اقامتك؟

ـ لا هذا ولا ذاك.

وبعد ان شرحت له وضعها، هتف قائلاً:

ـ يا الهي! ليتني لم اكن مضطراً للعودة الى البيت للقاء احدهم، والا لكنت انتظرتك حتى تنتهي من مهمتك.

فأجابته قائلة:

ـ لا ضرورة لذلك... ارجوك. بامكاني ان اتدبر امري.

فقال لها دون ان يميل بنظره عنها:

ـ اسمعي. لدي وقت يكفي لتناول فنجان من الشاي معاً. تعالي... ارجوك يا لينسي.

فقبلت دعوته، لا لأنها معجبة بالشاب، بل لأنها كانت في حاجة الى عدم التفكير في جرفيس طول ذلك النهار. ولكنه حين اخذ يتحدث اليها عن زواجها، شعرت بالندم لقبول دعوته.

٥ - «أنت لست ممن يواجهون الحقيقة، ولكن تأكدي اني اريدها منك الآن، يهمني ان اعرف لماذا لم تخبريني عن وجود ابني مع ان ذلك من حقي» . . .

وقال لها مارك لينير وهما يشربان الشاي:

- كنت في القرية امس، فشاهدتك تصعدين الى سيارة يقودها رجل. . . لم اعهدك تعاشرين الرجال، فهل كان ذلك الرجل زوجك؟

ورأت لينسي ان لا جدوى من الانكار، كما ان لا خطر هناك من الاعتراف بالحقيقة، على الرغم من انها كانت تأنف من بحث زيارة جرفيس للجزيرة.

فأجابته قائلة بشيء من التردد:

- نعم. كان ذلك الرجل زوجي. كنا نبحث في موضوع الطلاق.

فأثار هذا الجواب اهتمام مارك، فبادرها الى القول:

- متى؟

- لا اعلم بالضبط.

وكان مارك من النوع الذي لا يحشر انفه في خصوصيات الآخرين. وكانت لينسي تعهد فيه ذلك، مما جعلها في مأمن من الاضطرار الى مصارحته باكثر مما تريد ان تصارحه به.

ووضع مارك يده على يدها اظهاراً للعطف الذي احس به نحوها، ولذلك لم تسحب يدها، فقال:

- انت تعلمين ان ذلك يثير اهتمامي، لأنك لا شك تشعرين بعواطفي نحوك. . . وبعد حصولك على الطلاق، سأطلب اليك ان

تتزوجيني يا لينسي. هذا انذار مسبق. . .

وابتسم قليلاً، ثم تابع قائلاً:

- ولكني سأبذل جهدي في سبيل الحصول على شرف العناية بك وبسين.

وفيما بعد، حين ودعته، حارت هل تضحك ام تبكي. غير انها لم تفعل اياً منهما، وشعرت بالارتياح وهي تعده بأن تصطحب سين الى المزرعة في يوم قريب. وخيل اليها ان مستقبلها اصبح الآن مؤمناً. فهناك وعد بالنفقة من جرفيس، وبالزواج من مارك. وماذا تريد اكثر من ذلك؟ وتكون بلهاء اذا هي رفضت ان تقبل النفقة او الزواج. فبعد الطلاق تكون حرة في اتخاذ القرار الذي تشاء. ولكن ان تتزوج مارك من دون ان تكون مغرمة به، فعمل خاطىء ولا يجوز لها ارتكابه.

واستاءت كل الاستياء حين لم يحضر المحامي في الموعد الأول، ولكن استياءها تفاقم حين تأخر في الموعد الثاني، خصوصاً ولم يكن عنده ما يخبرها به. فباستثناء ورقة او ورقتين طلب منها توقيعهما، لم يعد لديها ما تفعله في ضوء ما كرر قوله لها، وهو ان صاحبة البيت الذي تشغله هارييت طلبت اخلاءه في الاسابيع الثلاثة المقبلة، ما لم يتجدد عقد الايجار.

وكان الحق عليها حين فاتها الباص الأخير العائد الى القرية، فاضطرت الى استئجار سيارة تاكسي. وقبل ان تفعل ذلك، انفقت وقتاً ثميناً في التجول والتفرج على الفنادق الفخمة في المدينة، على امل ان تجد عملاً لها في احدها. ذلك انها لم تدرك صعوبة المستقبل الذي يواجهها من الناحية المالية، الا بعد ان خرجت من مكتب المحامي. فحتى ذلك الحين كانت، على نحو ما، تنتظر حدوث اعجوبة تنقذها من ورطتها. وهكذا وجدت ان لا وسيلة للانقاذ الا بايجاد عمل يمكنها من دفع ايجار بيت تسكنه مع سين، بالاضافة الى اعالته واعالة نفسها. وادركت كم كان خطأها جسيماً حين لم تخبر

جرفيس عن وجود سين. والآن، كيف لها ان تتحمل ما سيعانيه سين من فقر وعوز، ان هي فشلت في ايجاد عمل؟ نعم، بامكانها في حالة فشلها ان تتصل بجرفيس، ولكن هل تفعل؟ كلا، ابداً. فهي لن تقبل بالتنازل عن سين الذي تحبه حتى الموت ولا تقدر ان تعيش بدونه...

ووصلت الى البيت متأخرة. كان الظلام يخيم، فعاودها القلق على سين. وحارت كيف تشرح له سبب تأخرها في العودة اليه، فيما هي تجري في طريقها الى البيت.

وهناك، عند الباب الخارجي، استقبلتها موسيتا بالصراخ قائلة:

- هرب سين ولم استطع ان اعثر عليه!

- هرب؟

ووقع هذا الخبر على لينسي وقوع الصاعقة. وخفف من ذعرها اعتقادها انه لا يستطيع ان يذهب بعيداً. ثم انه اعتاد ان يلاعب موسيتا ويلجأ الى الحيلة ليخيفها، فلعله فعل ذلك هذه المرة واختبأ تحت السرير او في مكان آخر في البيت او حوله.

وقالت لموسيتا:

- هل انت متأكدة انه ليس مختبئاً في البيت؟

- نعم، لأني بحثت عنه في كل زاوية.

واخذت موسيتا تشهق بالبكاء، وكذلك لينسي. الا انها حاولت ان تضبط اعصابها، فقالت لموسيتا:

- ومتى افتقدته؟

- لا اعلم. كنت اهيىء له طعام العشاء، وحين ناديته الى تناوله، لم اتلق اي جواب. كنت تركته يلعب في غرفة الجلوس، وحين ذهبت اليه لم اجده هناك... ومنذ ذلك الحين وانا افتش عنه.

فصاحت لينسي بصوت مرتجف:

- يجب ان يكون مختبئاً في مكان ما... هل فتشت عنه على الشاطىء؟

- نعم، يا سيدتي... وانا استغرب كيف يبدر منه مثل هذا التصرف...

- وأين فتشت عنه على الشاطىء؟

- اخذت المصباح اليدوي، ولا اعلم المسافة التي قطعتها في التفتيش عنه، ولكنها كانت مسافة طويلة على ما بدا لي. وحين لم اجده، رأيت ان اذهب الى القرية لاستنجد بسكانها. وكنت في طريقي اليها حين وصولك...

- وهل انت متأكدة انه لم يذهب الى القرية؟

- نعم. فهو حين يغضب ويحزن يميل الى الاعتزال، لا الى الناس، فالقرية هي اخر مكان يفكر ان يلجأ اليه.

وقالت لينسي بأسف شديد:

- تأخرت في العودة، فظن اني لن اعود!

وعززت موسيتا صدق كلامها بالقول:

- نعم، كان غاضباً جداً، بعد ان علم انك لم تكوني في اخر باص يصل من بورت لويس!

وقالت لينسي:

- على كل حال، دعينا نعيد البحث عنه.

قالت ذلك وهي تبذل جهدها لكي لا تنهار اعصابها، فيؤثر ذلك على الموقف كله. كان عليها ان تحتفظ برباطة جأشها، اذا كان لها ان تأمل بالعثور على سين. وليس هذا فقط، بل كان عليها ان تشجع موسيتا ايضاً على ضبط اعصابها. فراحت تخفف عنها وتبرئها من اللوم على اختفاء سين.

وحانت منها التفاتة، فاذا هي امام جرفيس، فصاحت قائلة بذعر:

- لا... لا، يا الهي! ظننتك غادرت الجزيرة!

- غيرت رأيي.

- ولماذا؟

www.elromancia.com

ـ قد يكون ذلك عائداً الى حدسي.

ـ الى . . . ماذا؟

قالت ذلك بصوت خافت خرج بصعوبة من حلقها. وشعرت بالغثيان، وبأنها تكاد تفقد وعيها، فكررت قائلة وهي تحدق اليه:

ـ الى ماذا؟

فمد يده وامسك بذراعها واخذ يهزها قائلاً:

ـ لا تقلقي! هنالك امور اكثر اهمية يجب علينا التفكير فيها الآن. سمعت ان هناك طفلاً مفقوداً، ربما يكون ابن هذه المرأة.

قال ذلك واشار الى موسيتا، فيما اجتاح لينسي ما يشبه موجة من الرعب، خصوصاً حين تذكرت انها يجب ان تسارع الى البحث عن سين، وان جرفيس ظن انه ابن موسيتا. ولم تفهم موسيتا، على ما يبدو، كلام جرفيس، مع انها كانت تراقبه والدهشة تعلو وجهها. فهي لم تعلم من لينسي عن وجوده في الجزيرة، او انه كان زوجها. ورجت لينسي الآن ان يفارقها جرفيس قبل ان تضطر الى مصارحتها بكل ذلك، او ان يسارع جرفيس الى اخذ المبادرة.

وقالت له وهي تحاول تحرير ذراعها من قبضة يده:

ـ ارجو منك المعذرة. . . نعم، هناك طفل مفقود، وعلينا ان نبحث عنه في الحال. . . ولا حاجة بي انا وموسيتا الى معين. . . ولذلك اكون شاكرة لك فضلك، ان انت تركتني وشأني الآن يا جرفيس. . .

وظهرت القساوة في عينيه، ولكنه اكتفى بالقول:

ـ لن اذهب قبل ان نجد الطفل. . . فأي نوع من الرجال تحسبينني!

وادركت لينسي انها لا تستطيع شيئاً، فانتزعت المصباح اليدوي من موسيتا وامرتها ان تلزم البيت، لئلا يعود سين ولا يجد احداً.

ورأت ان لا ضرر من ان يظل جرفيس على ظنه بأن سين هو ابن موسيتا. فلا بد ان يغادر جرفيس المكان حالما يعثران على سين. ومع

انها لم تعلم بعد لماذا عاد، الا انها لم تجد اي مبرر لبقائه.

وغافلت جرفيس وانتزعت ذراعها منه واخذت تركض مسرعة في اتجاه البحر. غير انه سرعان ما لحق بها قائلاً:

ـ هل من الضرورة ان تتصرفي بحماقة؟

وحين هزت برأسها غير عالمة ماذا تجيب، تابع كلامه قائلاً:

ـ هل لديك اية فكرة اين يمكن ان يكون الطفل؟ حين يعمد الاطفال الى الاختباء، فغالباً ما يختارون مكاناً او شخصاً عزيزاً عليهم. . .

وادركت لينسي رجاحة ملاحظته، الا انها لم تكن تتذكر أن سين متعلق حباً بمكان معين او شخص. بل بالعكس، كان يصرح بشدة كرهه لتلك الانحاء كلها. . .

وقالت له:

ـ دعنا نفتش على الشاطىء اولاً. ربما كان يلعب بالرمل وغلبه النوم فبقي مكانه، دون ان تستطيع موسيتا ان تجده حين جاءت الى الشاطىء في طلبه.

وكادت تتعثر وتسقط فطوقها جرفيس بذراعه وقال لها:

ـ اين والده؟

وصعقها هذا السؤال، حتى انها تمايلت بعنف، بحيث وقعت ذراع جرفيس عن خصرها. ثم تمتمت قائلة وهي تسارع الخطى:

ـ والده!

ولم يكن سين على الشاطىء، والا لكان ضوء المصباح تبينه بسهولة. وركزت لينسي تفكيرها الآن على سين دون اي شيء آخر.

وقالت لجرفيس:

ـ توجد كهوف هنا، ولكن الطفل يعي خطرها ويعلم ان الدخول اليها ممنوع. فأجابها قائلاً:

ـ ومهما يكن، فعلينا ان ندخلها لنرى.

ـ هيا بنا، ان كنت واثقاً من ضرورة ذلك.

- سيري امامي . . . هذا الطفل يعني لك الكثير على ما ارى. ولكن اجتهدي ان تتمالكي نفسك يا لينسي . . . انت ترتجفين!

وبعد قليل من الصمت، تابع قائلاً:

- كم له من العمر؟

- ثلاث سنين.

- اذن، على الأقل فهو ليس طفلاً . . . لماذا لا تنادينه باسمه؟ قد لا يرى نور المصباح، ولكنه يسمع النداء!

وكانت تريد مناداته باسمه، ولكن الصوت لم يكن يخرج من حلقها لشدة التوتر والغم. اما الآن، فبتشجيع من جرفيس اخذت تناديه، ولكن بصوت مبحوح بعض الشيء.

وقال لها:

- يا له من اسم غريب لولد من ابناء هذه الجزيرة، او لأي ولد على الاطلاق.

- الا يعجبك؟

- ليس كل العجب.

وتساءلت لينسي في نفسها هل يا ترى سيعرف الحقيقة يوماً؟

واخيراً وجدا سين في واحد من تلك الكهوف الواسعة. كان جالساً على حافة بركة ماء، حيث لا تصل امواج البحر.

وصاحت به قائلة:

- سين!

واسرعت نحوه واحتضنته، قبل ان يسبقها اليه جرفيس.

وتعلق سين بها وهو غير قادر على الكلام.

قالت له والدموع تتساقط على وجنتيها:

- هل انت بخير يا حبيبي!

فأجابها قائلاً وهو يدفن رأسه في صدرها:

- كنت مذعوراً.

وتقدم جرفيس قائلاً بنبرة صارمة:

- دعيني احمله . . .

فرفضت لينسي، ودار بينهما جدل عنيف لم يستطع جرفيس ان يقنعها به.

وقال لها:

- الم يخبره احد كم من الخطر ان يهرب من البيت، خصوصاً الى مثل هذه الكهوف؟كان ذلك يوفر عليك كثيراً من الدموع!

فأجابته قائلة بشيء من الغيظ:

- من السهل توجيه الانتقاد . . . وعلى كل حال، اشكرك على مساعدتك يا جرفيس، ولكن تربية هذا الولد ليست من شأنك . . . ومن الخير لك ان تعود الى بورت لويس في الحال.

ولم يكن ما يدل على ان جرفيس سيطيعها، فقال:

- ما بالك تستعجلين التخلص مني؟

وبعدما غادرا الكهف، سر لينسي ان سين لم يصب بأي اذى، وهكذا كان في استطاعتها ان تحمله الى فراشه، قبل ان يتمكن جرفيس من النظر اليه جيداً. ولسوء حظها ان قدمها تعثرت، وفيما هي تهوي الى الأرض، سارع جرفيس الى انتزاع سين من بين ذراعيها، وفيما هو يضمه اليه، القى نظرة على وجه لينسي فرآه ممتقعاً شاحباً، فقال لها:

- لا تقلقي . . . بعد قليل ستكونين في البيت!

وكان من شأن هذه الكلمات، عادة، ان تبعث العزاء في القلوب، الا انها زادت في مخاوف لينسي وتشاؤمها. وخنقت صرخة كادت تخرج من بين شفتيها، وهكذا تمكنت من ضبط اعصابها المنهارة. وشعرت ببعض الارتياح، وهي تسير الى جانب جرفيس على غير هدى. انه لا بد ان يعزو شقاءها الى وجوده معها ورغبتها الجامحة في التخلص منه بأسرع وقت. اذ كيف له ان يعرف ان لذلك كله علاقة بسين؟

ورأت ان وجه سين، لحسن الحظ، مختبىء في صدر جرفيس

العريض. وتذكرت كم كانت تشعر بالراحة والأمان حين كان جرفيس يضمها هكذا الى صدره.

وبالقرب من البيت، كانت موسيتا تبحث عن سين مع صديقها. فما ان رأتهم حتى هرعت الى لقائهم وهي تفتح ذراعيها صارخة:

- اعطني اياه يا سيدي... اين وجدتماه؟

وتجاهلها جرفيس كل التجاهل قائلاً:

- ما دمت احمله، فسأوصله الى البيت بنفسي. وجدناه في الكهف، ولولا رحمة الله لكان غرق في الماء.

وكان جرفيس يظن انه ابن موسيتا، ولذلك رأى ان يؤنبها. ولكن موسيتا حسبت تأنيبه لها عقاباً على اهمالها القيام بواجبها كحاضنة لسين. وامام هذا الاشكال، شعرت لينسي بالرغبة في الضحك. غير انها استدركت في الحال واستعانت بحدة ذكائها وسرعة خاطرها، فأخذت موسيتا على انفراد وقالت لها:

- اعلم انك وعدت حبيبك بالخروج معه هذه الليلة... فاخرجي معه الآن وانا اعتني بسين في غيابك.

- ولكن، ماذا عن ذلك الرجل يا آنسة لينسي؟ هل تعرفينه؟ لم ار وجهه من قبل، ولكنه يبدو مألوفاً بعض الشيء.

- نعم، اعرفه يا موسيتا، وهو لن يطيل زيارته هذه لي.

وقطبت موسيتا جبينها حزناً، وهي غير مقتنعة بهذا الكلام، وقالت مشيرة الى حبيبها:

- هو لا يمانع بانتظاري الى ان اساعدك، على الأقل، في تهيئة الشاي لك ولضيفك...

وكان جرفيس سبقهما الى الدخول من الباب الأمامي، فنادى سين امه، ولكن جرفيس قال له مطمئناً:

- ها هي قادمة في الحال يا عزيزي. ولكنك، على كل حال، في امان معي.

فأخذ سين يشهق بالبكاء ويقول:

- لم اقصد ان اهرب... كل ما قصدته هو ان ابتعد واخلو قليلاً بنفسي!

وكرر جرفيس قوله له:

- انت الآن في امان معي... ولكن اياك ان تفعل ذلك مرة اخرى!

وكانت لينسي فرغت من اقناع موسيتا بالخروج مع حبيبها تلك الليلة، واسرعت فلحقت بجرفيس وسين. وشعرت بالارتياح حين رأت وجه سين يغطيه الرمل، بحيث لم تكن تظهر ملامحه للعيان. ووضعت يدها على جسمه الصغير وقالت لجرفيس بتضرع:

- بربك يا جرفيس اعطني اياه!

فتجاهلها كما تجاهل موسيتا من قبل، وألقى سين بعناية ورفق على المقعد الذي في المطبخ. ثم اخذ يتأمله بمرح ويقول:

- كل ما يحتاج اليه الآن هو الاغتسال جيداً ثم النوم. ولكن قبل ان اذهب، اريد ان اتأكد من انه لم يصب بأذى...

فصاحت لينسي مذعورة:

- لا تتعب نفسك... فلو كان اصيب بأي اذى، لوصل صوته الى السماء. والصغار، كما لا بد انك تعلم، لا تنكسر عظامهم بسهولة لكثرة طراوتها. وبامكاني ان اعتني به بنفسي، ولكن بعد ان اودعك... واذا كنت تريد ان تراني مرة اخرى، فبوسعي ان التقيك في بورت لويس، ساعة تشاء.

وأصر جرفيس على موقفه قائلاً:

- اين ذهبت الفتاة؟

- موسيتا؟ خرجت لحضور حفلة اجتماعية...

فقال جرفيس ساخراً:

- يا لها من ام مثالية! وعليك ان لا تشجعيها على هذا الاهمال الذي تبديه نحو ابنها.

- انا لا اشجعها...

وتمنت لينسي لو وجدت عذراً آخر لغياب موسيتا، ولكن ما نفع التمني، خصوصاً حين شاهدت جرفيس يتجه نحو حنفية الماء الساخن ليملأ وعاء يغسل فيه وجه سين...

فصاحت به قائلة:

- دعني افعل ذلك، فهو معتاد علي.

وحاولت ان تنتزع الوعاء منه، ولكن عبثاً. وتلاقت نظراتهما كالعادة وهي تقدح شرراً من اصطدام ارادتين صلبتين كحجر الصوان. واحس سين بتوتر الجو، فأخذ يصيح مرة اخرى.

وعضت لينسي بشدة على شفتيها، فيما اخذ جرفيس يؤنب سين على صياحه. فتوقف عن الصياح، في الحال، ورفع رأسه عالياً. فقال له جرفيس وهو يجلب الماء والصابون:

- حسناً فعلت يا عزيزي.

ولم يبق للينسي الا الصلاة، لعل الله يخرجها من هذا المأزق الذي وقعت فيه. وشل الخوف والقنوط عزيمتها، فاكتفت بمراقبة ما يجري وهي لا تستطيع شيئاً. واخذ جرفيس يغسل الرمل عن وجه سين، فظهر نسخة طبق الأصل عن وجهه.

وامسكت لينسي قلبها بيدها، راجية ان لا يلاحظ جرفيس ذلك الشبه بينه وبين ولده. فالرجال، عادة، لا ينتبهون الى مثل هذه الأمور، كما ان النور لم يكن ساطعاً في الغرفة.

ولم يلاحظ جرفيس اي شيء من هذا القبيل في بداية الأمر. كان منشغلاً بازالة الرمل، ومعيراً كل اهتمامه الى ان لا يترك الرمل خدوشاً في وجه سين الغض الطري.

وقال له:

- ليكن هذا درساً لك يا عزيزي... اذا كان لك ميل الى المغامرة، فانتظر الى ان تكبر، او على الأقل الى ان يستطيع والدك ان يجد الوقت الكافي لاصطحابك معه...

ورفع سين عينيه الى جرفيس وهو مقطب الجبين استياء من هذا

الكلام. وفجأة رأت لينسي ان جرفيس وقف مندهشاً، فيما اخذ صدره يعلو ويهبط من وطأة الدهشة التي نزلت عليه نزول الصاعقة. وما كادت لينسي تتأهب لاستقبال هول ما سيحدث، حتى صرخ جرفيس بصوت عال، وهو يحدق اليه والى والدته:

- هذا ابني... هذا ابني ايتها الخائنة!

ولم يكن في كلامه هذا يطلب منها اي اقرار بذلك. كان واثقاً كل الثقة ان سين كان ابنه، وانها كانت تحاول اخفاء هذه الحقيقة عنه. وحدق اليها بغيظ شديد، فتراجعت خوفاً منه... فما حاولت ان تتفاداه وقع... ووقع على نحو اشد هولاً بكثير مما كانت تتصور!

وحين صاح سين: «يا أماه!» واخذت لينسي يده برفق، بلغ جرفيس ذروة انتصاره.

ورأت لينسي من امارات الغضب الأسود على وجهه انه كان في هياج عارم، فلم تلمه. كان من حقه ان يشعر مثل هذا الشعور، بعد ان اكتشف ان له ابناً منذ ثلاث سنين وهو لا يدري.

وتذكرت عائلته وصلات القربى التي لها بالعائلات الاوروبية العريقة، وكيف ان ابناءها يفتخرون باجدادهم وبذريتهم على السواء. وتعجبت من انها سمحت لنفسها ان تشك لحظة واحدة في ان جرفيس قد يرفض الاعتراف بابنه!

وهكذا شعرت بفداحة الخطأ الذي ارتكبته باخفاء ابن عن ابيه. وكانت هارييت هي التي نصحتها بعدم الاتصال بجرفيس في هذا الشأن، غير ان ذلك لا يبرر تصرفها الأرعن. كان عليها ان تتخذ قراراتها بنفسها، من دون تردد او جبن. وماذا لو كان جرفيس مغرماً بامرأة اخرى؟ ان خطأين لا يعملان صواباً، هذا على افتراض ان جرفيس كان مغرماً بامرأة سواها. ومن الآن فصاعداً يجب، على الرغم من انها لن تتنازل عن سين، ان تبذل كل جهدها لتبرهن عن ندمها على الخطأ الذي ارتكبته.

وعاد جرفيس الى التأمل بوجه سين، وكانت رأت الكراهية جلية واضحة على وجه جرفيس حين نظر اليها من قبل. اما الآن فلم يعد في نظرته شيء من الكراهية، فتساءلت هل كان ذلك هو الواقع حقاً، ام انه خيل اليها؟

وكان صوته كوجهه خالياً من اي انفعال، حين ذكرها قائلاً:

- لم تردي على سؤالي!

فقالت له بانكسار ساحق:

- نعم، انه ابنك!

وهنا صرخ سين طالباً شربة ماء والذهاب الى فراشه لينام.

وخافت لينسي من ابداء اية حركة تشير الى انها ستلبي طلبه، فحدقت الى جرفيس كانما تسأله ماذا يريدها ان تفعل.

فقال لها جرفيس:

- خذيه الى فراشه... وحين نتحدث لا اريد ان تقاطعيني.

وبعد ان هيأت شراباً ساخناً تسقيه لسين قبل نومه، حملته بين ذراعيها الى غرفة نومه وهي منهوكة القوى تكاد تتعثر وتقع. ولم يحاول جرفيس ان يلمس سين، ولكنه تبعها ورأى بأم عينه انه اصبح في الفراش.

ورمقته لينسي بنظرة عاجلة. هل كان يقابل هذه الغرفة الضيقة بالغرفة التي كانت يجب ان تكون من نصيبه لو عاش معه في قصر وورتن مانور ؟ ام لعله اراد ان يتأكد من انه لن يهرب.

واستولى عليها الشعور بالعار، حتى انها ودت لو تجد مكاناً للاختباء ولو الى حين. وادركت كم ستكون عاجزة في الرد على الكلام الذي سيوجهه اليها جرفيس.

وانحنت على سين وهو في فراشه، وطبعت على جبينه قبلة حارة وتمنت له نوماً هانئاً. صحيح ان فرحها بالعثور عليه خف كثيراً بوجود جرفيس، الا انها شكرت الله على انه لا يزال سليماً معافى.

وتساقطت الدموع من عينيها، فمسحتها عن خديها، فيما اقبل

جرفيس واخذ ينظر الى سين. وخطر للينسي ان تسأل نفسها ماذا سيقول سين حين يكتشف ان له اباً، وخصوصاً كجرفيس الذي يتمنى كل ولد ان يكون له اب على صورته ومثاله.

وكانت الافكار السوداء تتجاذبها، بحيث رحبت بيد جرفيس على ذراعها وكلامه لها بأن هنالك ما يجب ان يتحدثا عنه. كانت لهجته رقيقة، ولكنها لم تخل من القساوة التي بعثت الرعب في قلبها. فالحديث لن يتناول الطلاق فقط هذه المرة، بل سين ايضاً.

وقالت له:

- هل تمانع ان نرجيء حديثنا الى صباح الغد؟ فأنا مرهقة جداً.

فاجابها بعنف، وهو يقودها بذراعها الى غرفة الجلوس:

- نعم، امانع!

وهناك افلتها واغلق الباب. وجلست في مقعدها وهي خائرة القوى، كمتهم ينتظر صدور الحكم عليه.

ولم يراوغ جرفيس، كما انه لم يدعها تراوغ، فسألها قائلاً:

- لماذا لم تخبريني؟

- تعني عن سين؟

قالت ذلك وهي تدرك انها تحاول ان تكسب الوقت ولكن عبثاً، غير ان التفسير الذي لا بد ان يطلبه جرفيس منها هو تفسير مؤلم، بحيث يدفعها الى محاولة تفاديه اذا امكن.

وبادرها جرفيس الى القول:

- انت لست ممن يجابهون الحقيقة ويعلنونها، ولكن تأكدي اني اريدها منك الآن... يهمني ان اعرف كل شيء عن ابني، ويهمني ان اعرف ايضاً لماذا قررت ان لا تخبريني عنه، وانت تعلمين حق العلم ان ذلك من حقي.

وتساءلت لينسي كيف يجرؤ على توجيه هذه الاسئلة اليها؟ فصاحت به وقد نسيت عزمها على التزام جانب التواضع:

- اي حق هو هذا؟ انت تخليت عن كل حق له علاقة بي!

ـ تخليت؟ وكيف يكون ذلك؟ كل هذه السنين وانا لا اعلم بأن لي ابناً... وكنت احسب انه مات وهو جنين!

ـ كاد يموت... واللوم يقع عليك!

ـ عليّ انا!

وثارت ثائرة جرفيس واخذ يشتم ويهدد. وارادت لينسي ان تقول له: ماذا عن تلك المرأة؟ عن الليالي التي كنت تقضيها بعيداً عن البيت؟ او تلك التي كنت تقضيها في البيت من دون ان تقترب مني؟ غير انها غيرت رأيها ولزمت الصمت. فتابع جرفيس كلامه قائلاً:

ـ اذا كان من لوم على احد، يا لينسي، فهو عليك. وما ذلك الا لحالة التشنج العاطفي التي كنت فيها. وهذا مما لا يساعد على حمل الجنين. وبالاضافة الى ذلك كنت تصرفين معظم وقتك في النحيب على والديك. الرثاء والحزن والأسى امر طبيعي، ولكنه لا يكون طبيعياً، حين يصبح دائماً ومستمراً. وقلما كنت تفكرين بي، في تلك الليالي التي كنت اشقى واتعب فيها ولا القى منك الا التجاهل ونكران الجميل...

فقاطعته قائلة بعنف:

ـ هذا غير صحيح!

ـ طبعاً هو غير صحيح في نظرك. وعلى كل حال، دعينا من هذا الموضوع الآن ولنعد الى ابني. اريد ان اعرف حقيقة ما جرى منذ البداية...

وحين علا وجهها احمرار الخجل، ازداد غيظاً وقال:

ـ ربما يكون لك عذر للشعور بالخجل اذا ما تذكرت تلك الليلة التي لم يغمض لنا جفن. وكانت هذه الليلة هي الوحيدة التي لم ادعك تنامين فيها. ثم جاء الصباح، والأسابيع التالية، حين بلغ بك المرض حداً جعل سببه واضحاً جداً.

ـ بربك اسكت!

قالت ذلك بشيء من التضرع، وهي تضع يديها على وجنتيها الملتهبتين

وتتساءل: ماذا يفيده مثل هذا الكلام الذي يذكرهما بأمور من الأفضل ان يطويها النسيان؟

وتابع جرفيس قائلاً:

ـ يا له من طبيب احمق! ام انك انت التي دفعته الى الحماقة... فهو طبيب مشهور بمهارته، بل لعله خير طبيب في حقل اختصاصه. فكيف ارتكب ذلك الخطأ عن الجنين؟

فسألته بمرارة:

ـ الا تتذكر قوله لك انه كان يخاف على الجنين، ولكنك اهملت الأمر كله ولم تأبه بمتابعته حتى النهاية؟

ـ انت تعلمين كم كنت منهمكاً في العمل آنئذ...

ـ نعم... وكنت تظن ان عملك كان الأهم...

ـ وكيف لا؟ حين اخذت تنفقين المال بغير حساب!

ولم تشأ لينسي ان تتابع هذا الجدل العقيم، فقالت:

ـ دعنا من هذا الآن، ولكن لا تنس انك لم تنتظر ان تسمع كيف ان الطبيب جاردين شعر فجأة بالمرض وهو يفحصني، فعاد الى المستشفى وارسل زميلاً له. ولسوء الطالع انه، وهو في طريقه الى هناك وقع له حادث فقتل. وتبين انه اصيب بنزيف في الدماغ. واخبرت زميله، فيما بعد، ان الطبيب جاردين شعر بالمرض وهو يفحصني.

وتجهم وجه جرفيس وقطب جبينه قائلاً:

ـ واذن لم يسمح له الوقت بأن يدون ملاحظاته الطبية بشأنك، ولذلك لم يخلفه احد...

ـ الم تستغرب ذلك وتسأل لماذا لم ارسل الى المستشفى او احصل على مزيد من العناية الطبية؟

ـ كلا! كان عليّ ان افعل، ولكني لم اعتقد ان الأمر كان على مثل هذا الجانب من الأهمية والخطورة. وكنت اعلم انك لم تحبلي الا منذ بضعة اسابيع، فضلاً عن ان صحتك بدت لي جيدة جداً.

ـ كان ذلك لأنني لم اسقط الجنين، ولأني كنت صغيرة السن وجاهلة، ولأن ما قاله لي الطبيب اعتقدته امراً واقعاً لا محالة. وبعد اسبوع او اكثر قليلاً، حين بدأت اشك في الأمر، ذهبت الى طبيب خاص فاخبرني اني لم اسقط الجنين، بل كان هنالك خوف من سقوطه، لا اكثر ولا اقل!

فصاح بها جرفيس وهو يقبض بعنف على ذراعها:

ـ اي نوع من النساء انت؟ لم يكفك انك اكتشفت ذلك ولم تخبريني، بل ذهبت الى ابعد من ذلك فهربت وتركتني . . . آه يا الهي! لماذا فعلت هذا كله؟

٦ – العيش معه سيكون شديد الوطأة عليها. فهو لم يكن في يوم من الأيام مغرماً بها. ومع هذا، فمن أجل ابنها سين لا بديل لها سوى العودة اليه. . .

لماذا فعلت لينسي ذلك؟ وحين رجعت بذاكرتها الى الوراء، وجدت انها كانت مضطربة الذهن بعض الشيء، والا لما كانت اقدمت على اتخاذ تلك الخطوة اللامعقولة. هذا مع العلم انه لم يكن من السهل استعادة ذكرى التفاصيل التي احاطت بالموضوع منذ عدة سنين. على انها لم تنس، ولا يمكن ان تنسى، شيئاً واحداً وهو حاجتها الماسة، آنئذ، الى العثور على جرفيس وتبشيره بالخبر السار. وكانت تنوي لتلك المناسبة ان تطلب اليه القيام بمحاولة جديدة، على الرغم من ان قلبها كان مليئاً بالمخاوف ولكن مع شيء من الأمل بالنجاح.

اما الآن وهي تحدق اليه فهي ترى الكراهية الظاهرة في عينيه، فكيف تستطيع ان تشرح له الأثر الذي تركه فيها ذهابها الى مكتبه لتجده يغازل اوليفيا جيمس؟ فاذا فعلت، فانه يدرك كيف تشعر نحوه الآن، او على الأصح في ذلك الوقت. كانت فقدت والديها، وفوق ذلك علمت من الطبيب الثاني الذي كان يعالجها وهي حامل انها قد تفقد طفلها وهو جنين. على ان ذلك لم يحز في نفسها اكثر من رؤيتها اوليفيا مع جرفيس. وخيل اليها بعد هذا الحدث ان لا امل لها في الحياة، وان خير سبيل تتخذه هو الهرب والاختفاء.

وقال لها بقساوة:

ـ كيف خطر لك انني لم اكن اريد ولدي؟

www.elromancia.com

ولاحظت انه لم يشر اليها، فقالت له:

- لم يكن عندي ادنى شك في انك ستتزوج مرة ثانية...

- وكيف يمكن لي ذلك، وانا لا ازال متزوجاً بك؟

- اعتقدت انك تحصل على الطلاق مني بسبب الهجر. وكان رأي هارييت انك كنت تستطيع ان تحصل عليه بسهولة...

- يبدو لي ان صديقتك هارييت كانت واثقة في كثير من الأمور التي لم تكن تفهم شيئاً عنها! ولكن المهم في الموضوع، هو انك كنت حريصة على ان تديري اليها اذناً صاغية.

- كانت الشخص الوحيد الذي اتيح لي ان اصغي اليه.

وتصلبت ملامح وجه جرفيس، فكظم غيظه وقال:

- وهكذا جئت الى هنا واقمت بارتياح. ثم بعد بضعة اشهر ولدت ابني، ومع ذلك لم تري انه من واجبك ان تخبريني بالأمر.

فأجابت بصوت مرتجف:

- خشيت ان انا اخبرتك ان تأخذه مني. وهارييت...

فقاطعها قائلاً:

- نعم، وماذا قالت هارييت؟

- كانت على حق في ما قالته لي، وهو انك كنت ستأخذه مني... اليس كذلك؟

- طبعاً...

- وكيف يحق لك ان تعترف بذلك، في حين انك لم تحاول البحث عني؟

- نحن الآن نتحدث عن ابني.

واستمر جرفيس يتحدث عن ابنه، كما لو انه كان مصراً على تذكيرها به. وشعرت بتوتر في اعصابها وهي تنظر اليه وتسأل نفسها هل من فائدة في القيام بمحاولة اخيرة للاحتفاظ بولدها، فقالت له:

- لا تقلق على سين يا جرفيس. لن امنعك من رؤيته كلما شئت، ولكنه لي.

فأجابها بازدراء وسخرية:

- اصحيح هذا يا عزيزتي؟ كرمك الحاتمي هذا لا يمكن ان استحقه!

- قل ما شئت، ولكني سأقاومك من اجل احتفاظي به، اذا اجبرتني على ذلك!

- وما رأي المحكمة في قضية كهذه، اذا هي قابلت بين ما اقدمه انا له من وسائل العيش، وما تقدمينه انت؟ لا شك سيقهقهون ضاحكين من حماقتك...

- انك تهينني بكلامك هذا...

- وعن قصد. وسترين العجب اذا انت قاومتني للاحتفاظ بسين!

وكان جرفيس يدرك انه اذا طلقها، فستحاول الحصول من المحكمة على حق الحضانة. وقالت له بصوت متهدج:

- انا امه يا جرفيس، وانا احبه اكثر مما توجعت في ولادته. ولا يمكن لك ان تفهم ما اقول، لأنك لم تكن معنا...

- انت حرمتني حقي في ان اكون معكما... ولو انك اخبرتني بانك كنت حاملاً، لما فارقت جانبك!

ارتعشت لينسي قليلاً واحمر وجهها حين سألت نفسها كيف تكون الحال لو انها اخبرته وفعل ما يقوله الآن؟

وظن جرفيس خطأ ان الحياء هو سبب الاحمرار في وجنتيها، فقال لها متهكماً:

- يا لك من امرأة محتشمة! ولكن ثقي اني لن ادعك وشأنك، قبل ان اصل معك الى نتيجة.

وخطر لها ان تسأله ماذا ينوي ان يفعله بعد، ولكنها لم تجرؤ على ذلك. وشعرت كأنها ترى جرفيس بوضوح لأول مرة، نظراً الى ما كان يصدر عنه من عنف وعناد في الرأي. كان وسيم الطلعة، ولكنه يوحي بالخوف.

وسألته قائلة:

ـ ماذا جاء بك الى هنا الليلة؟ لم يكن ذلك لأنك علمت بوجود سين، والا لصارحتني بذلك حال وصولك!

لمعت عيناه بشيء من الرضى وهو يجيبها قائلاً:

ـ قد لا تصدقين ان الذي جاء بي الى هنا هو الشك الذي بعثه فيّ تصرفك معي البارحة.

ـ تصرفي؟

ـ نعم... في اليخت!

وتساءلت لينسي لماذا لا يكون واضحاً صريحاً معها، بدل ان يمعن في تعذيبها على هذا النحو. وحدقت اليه بحيرة قائلة:

ـ ماذا فعلت حتى اثرت في نفسك الشك؟

ـ ذهابك معي الى غرفتي واستعدادك لأن تفعلي كل ما اريد!

ولم تفهم لينسي ايضاً من كلامه هذا شيئاً، فقالت له:

ـ لا لوم علي حين طردتني من غرفتك. اتفقت معك على ان افعل ما تريد، وذلك بالرغم مني، فلا يحق لك ان تتهمني باني لم انفذ هذا الاتفاق.

ـ هذا هو الموضوع. لم تريدي ذلك، بقدر ما كنت انا لا اريده. فهل اعتقدت بالفعل انني كنت اريدك الى حد لم يكن في وسعي ان انتظر؟

ـ اذن، لماذا فعلت ما فعلت؟

ـ اخذتك الى غرفتي لأرى الى اي مدى كنت مستعدة ان تذهبي. وحين دعوتك الى الغداء في اليخت، كان ذلك لأسباب شخصية لا مجال لذكرها الآن. ولكنك بالغت في الرفض، بحيث جعلتني اتساءل لماذا كنت تخافين كل ذلك الخوف...

ـ وكيف عرفت اني كنت خائفة؟ اتراني فشلت في محاولة اخفاء خوفي؟

ـ نعم، فشلت. ثم انني لم استطع ان اصدق ان توتر اعصابك الشديد كان بسببي، مما جعلني افكر في سبب آخر. وزاد في شكوكي

اصرارك العنيد على العودة الى البيت في اسرع ما يمكن. كل ذلك ملأ مخيلتي واستأثر باهتمامي، وشعرت اني على وشك اكتشاف شيء مهم جداً.

واحست لينسي بما يشبه اتقاد الجمر في وجنتيها وقالت:

ـ اذن، ما حدث في يختك كان فصلاً من مسرحية؟

فأجابها قائلٌ ببساطة:

ـ بدأ هكذا، للحصول على مزيد من المعلومات عنك.

ـ هذا يعني انك لم تكن بالفعل تريدني!

فابتسم بضراوة واجابها قائلاً:

ـ كيف لا، وانت امرأة مرغوبة الى حد كبير!

فسرها ذلك ورأت ان تجيب بشيء من الكبرياء:

ـ هل خالجك الشك في ما دفعني الى مقاومتك تلك المقاومة العنيفة؟

ـ كنت اظن ان لك حبيباً، فلم اصدقك حين انكرت ذلك. وهذا ما زاد في اثارتي. وانا، حتى الآن، لا ازال اميل الى الظن بأن هناك رجلاً في حياتك، في مكان ما. ولكنك وانت على ظهر اليخت كان سين هو الذي استأثر بكل اهتمامك!

فاعترفت لينسي بذلك قائلة:

ـ نعم. وكيف يمكنني ان اخبرك عنه وانت قد تحاول ان تنتزعه مني؟ ثم انني كنت قلقة عليه اذا تأخرت في العودة. ومن جهة اخرى، فشكك بوجود صديق لي يفسر مجيئك الليلة الى هنا...

ـ رأيت ان اجيء لأرى بنفسي، لأني لم اكن مقتنعاً بشكوكي.

فقالت له بعتب مشوب بالهزء:

ـ منذ ان وصلت الى هذه الجزيرة وانت تستخبر عني ليل نهار...

ـ نعم وبكثير من المشقة، الا ان ذلك لم يذهب سدى.

ـ في ما يتعلق بك... ولماذا تظاهرت بمغادرة الجزيرة؟

ـ لم اتظاهر بأي شيء. كل ما في الأمر اني ارسلت بحارتي مع

اليخت لبضعة ايام، ريثما انصرف الى مراقبتك. لم اعطهم اي سبب، ولا هم طلبوا.

ـ وماذا اكتشفت في دورك الجديد كجاسوس ماهر عظيم؟ اعني مجيئك الى هنا.

ـ اول كل شيء رأيتك تعانقين رجلاً امام مقهى في المدينة...

ـ وهل عرفت من هو؟ هو مارك لينيير جارنا، وهو الذي عانقني، وكان ذلك لأول مرة، وهو ليس حبيبي.

فبادرها الى القول بحزم:

ـ ما دمت زوجتي، فلن اسمح لك بأن تقومي بعمل كهذا امام الناس...

ولم تشأ لينسي ان تخبره بأن مارك اقترح عليها ان تتزوجه، لأنها خشيت ان تثور ثائرته وينتقم من مارك.

وفوجئت حين غير جرفيس هذا الحديث، فقال:

ـ لنعد الى سين... ان يكون لي ابن اصابني بهزة عنيفة، ولكن من الآن فصاعداً سأكون مسؤولاً عنه... وسأصطحبه معي!

وكأن جرفيس لم يكتف بالتجسس عليها، بل عزم الآن ان ينتزع منها سين، او على الأقل سيحاول، وثارت فيها روح المقاومة فاحتجت قائلة:

ـ لن ادعك تنتزعه مني، كما لو كنت غير قادرة على العناية به.

ـ وكيف يكون ذلك؟ هل لديك مال؟ هل اورثتك هاريت شيئاً؟

فلزمت الصمت، وتابع قائلاً:

ـ وهذا البيت هل هو ملكك؟

ـ كلا!

ـ ومن يدفع بدل ايجاره، مارك لينيير؟

وبعد قليل من الصمت اضطرت الى القول:

ـ تريد صاحبة البيت ان نتركه...

ـ واين ستسكنين؟

ـ لا اعلم بعد!

ـ هل افهم من كلامك ان لا مأوى لك، ولا مال، ولا وظيفة؟

هزت رأسها علامة الموافقة على كلامه وقالت:

ـ انني ابحث عن وظيفة... وهذا ما ذهبت من اجله الى بورت لويس اليوم وفي نيتي ان اتقدم بطلب الى احد الفنادق الكبرى.

وهنا جال بنظره في انحاء قامتها النحيلة وقال بوقاحة:

ـ لا شك عندي في ان تجدي رجلاً يأخذك وينفق عليك... ولكن ماذا عن سين؟

ـ موسيتا تساعدني في العناية به...

وعاد الى التحديق بسخرية اليها، مركزاً نظره على عينيها قائلاً:

ـ هنالك وظيفة واحدة تمكنك من اعالة ثلاثة اشخاص في هذه الأيام...

فقاطعته قائلة:

ـ لا يهمني ان اقوم بأي وظيفة كانت، شرط ان تمكنني من اعالة سين وتربيته...

فبادرها الى القول:

ـ محال! سين سيأتي معي... وانت ايضاً اذا شئت!

ـ وانا ايضاً؟

ـ نعم.

ـ اتعني حقاً ما تقول؟

ـ انا لا اقول شيئاً لا اعنيه يا لينسي.

عضت لينسي على شفتها وقد استولت عليها الدهشة لهذا الاقتراح الذي لم تكن تتوقعه. ايكون انه يطلب اليها ان تعود الى العيش معه؟ وكيف يكون ذلك؟ وماذا عن المرارة التي لا تزال كامنة في قلب كل منهما؟

فقالت بتردد:

ـ انا... انا لا اتهمك بعدم الاخلاص والنزاهة يا جرفيس...

ولكني ظننت انك تفوهت بملاحظة مجانية عابرة...

فأجابها ببرودة:

- في حديث كالذي يدور بيننا، لا مجال لمثل هذه الملاحظة!

وكان يحملق فيها وهو يتكلم، ولكنها كانت مشوشة الذهن بحيث مالت بنظرها عنه. كان في عينيه شيء لم تتبين ما هو، كما لو انه اسدل حجاباً على مشاعره الحقيقية. وحين عادت الى النظر اليه، وجدت ان امارات الكراهية على ملامح وجهه زالت ولم يبق لها اي اثر.

ادهشها ذلك وشجعها على القول بصوت خافت:

- لماذا تعرض علي ان اعود اليك؟

كان عليها ان تعرف الحقيقة قبل ان تتخذ قرارها الذي كانت تدرك انه من الأهمية بحيث يشكل فعلاً حاسماً في حياتها.

وتابعت كلامها قائلة:

- هل انت متأكد من عرضك هذا؟ الا تظن انك تسرعت في تقديمه؟

- انا عادة لا اتسرع في قراراتي. انا واثق من صواب قراري هذا. سين يحبك ولا شك، وانت امه، ولا بد ان يشقى ان هو ابتعد عنك علي حين غرة، فالى ان يألف حياته الجديدة، فمن الحكمة ان نعيش معاً!

- معاً؟

- نعم، ولكن ليس بكل معنى الكلمة كما اظن. ولكن من يدري؟

وشعرت لينسي بالاطمئنان، بالرغم مما كان يكمن في حدسها من الحذر. كان جرفيس شديد النقمة عليها لأنها خدعته بشأن سين، غير انه على ما ظهر لها، كان يحاول مثلها ان يكون متعقلاً ويتناسى نقمته هذه عليها. وبدا لها انه خطا خطوة الى الأمام، حين اخذ يفكر في الأمور من وجهة نظر الآخرين. ومنذ لحظات كانت تتخوف من انه سيعمد الى انتزاع سين منها بالعنف والاكراه، الا ان شيئاً جعله

يغير رأيه. وفيما هي تهم باظهار تقديرها لموقفه، بادرها الى القول وهو يفلت ذراعها:

- لينسي! قراراتك المتسرعة في الماضي لم تكن في صالح احد، فالأفضل ان ترجئي قرارك هذا الى الغد. وانا لا اريد ان تشعري اني استعجلتك... واذا قررت العودة الي، فلن اجعلك تغيرين رأيك. هنالك الكثير من الأمور التي يجب ان نبحثها معاً، ولا بأس ان هي انتظرت الى الغد، حين نكون اخذنا قسطنا من الراحة.

ورأت لينسي انه كان على صواب، وان من الأفضل ان تفكر جيداً في الأمر، مخافة ان يكون في ما عرضه عليها خدعة او حيلة. فهو حاد الذكاء، وليس بمستبعد ان يلجأ الى مثل ذلك.

قالت له:

- الحق معك. والآن يجب ان القي نظرة سريعة على سين، ثم اذهب الى فراشي. وانت اين تنزل في بورت لويس؟

- في احد الفنادق، ولكني افضل ان ابيت ليلتي هنا.

وحاولت الاعتراض، الا انه تابع كلامه قائلاً:

- لن اكون معك... ليس اليوم على كل حال. يجب ان نكون في حب عميق، واحدنا للآخر، حتى نطيق ان نكون معاً! فهل لديك غرفة اخرى؟

- نعم غرفة هاربيت. ولكن الفراش في حجم فراشي، ولذلك انا واثقة انك ترتاح اكثر في بورت لويس!

فأجابها بفروغ صبر:

- لينسي... امامي الآن ما هو اهم من قضاء ليلة مريحة. فسواء شئت ام ابيت، فسأبقى معك... ولا احتاج الى اكثر من شرشفين ومخدة. واني اراك الآن تظهرين اهتماماً بالفراش، كما فعلت ليلة زواجنا!

قال ذلك ودخل الغرفة واغلق الباب في وجهها، فعادت الى غرفتها وهي تتعثر، حيث استلقت في فراشها واخذت تحدق الى

السقف محاولة ان لا تتذكر شيئاً.

وكانت، مثلها مثل جرفيس، في حاجة ماسة الى التفكير في عدة امور، وفي مقدمتها سين. ماذا ستكون ردة فعله حين يعلم ان جرفيس هو والده؟ هل يروق له ذلك؟ واذا راق له، ماذا سيكون شعورها؟ الا تغار وتستاء في وقت معاً؟ وخيل اليها ان جرفيس سيستلم القيادة منها، منذ صباح الغد، بطريقته الفردية الصارمة، كما هي عادته.

وعلى الرغم من ارادتها، بدأت تتذكر كل شيء جرى بعد موافقتها على الزواج به، وكيف انه قام بتدبير كل شيء بمهارة وسرعة فائقة. وكان له رأيه حتى في ثوب العرس وسوى ذلك من التفاصيل.

وخلافاً لما كان يريده والدها، وهو تأجيل عقد الزواج الى ان تكبر في السن قليلاً وتعي تماماً اهمية قرارها، فان جرفيس اصر على الزواج في خلال بضعة اسابيع. وكان ينفق بسعة وبغير حساب، حتى ان ثوب العرس وحده كلفه مئات الجنيهات، ناهيك بخاتم الزواج الذهبي الباهظ الثمن. ثم انه لم يدع والدها يتحمل اية نفقة، لعلمه انه لم يكن على شيء من الثراء.

وكان لطيفاً مع والديها، فأحباه كثيراً، بالرغم من بعض الخلاف في الرأي. غير انهم جميعاً نسوا هذا الخلاف في يوم عرسها، حين شقت طريقها نحو المذبح، حيث كان ينتظرها جرفيس الذي تعمد الالتفات اليها واستقبالها بنظراته العاشقة قبل وصولها اليه. كانت تبدو آية في الجمال، كما كان جرفيس وسيم الطلعة بشعره الأسود، وقامته الفارعة، وعينيه الخضراوين.

وتذكرت لينسي ايضاً كيف اخذت يدها ترتجف حين وضعتها في يده، وكيف انه بقي ممسكاً بها بقية ذلك النهار الذي انتهى بشهر العسل. وادركت الآن انها لم تكن مستعدة تمام الاستعداد لمثل ذلك الشهر. ذلك ان عواطفها ومشاعرها لم تكن لتستطيع استيعاب ما واجهته. نعم، كانت تحب جرفيس، ولكنه لم يخبرها ابداً بأنه يحبها.

ولو لم تكن جاهلة، آنذاك، لتساءلت لماذا لا يقول لها: احبك؟ وهي لشدة جهلها خلطت بين الامتلاك والحب. كان جرفيس يريدها، غير انه لم يكن مستعداً للزعم بأنه يحبها.

وفي الطريق الى الجزيرة التي قضيا فيها شهر العسل، وجد جرفيس صعوبة قصوى في ضبط جموح عاطفته لامتلاكها. وتذكرت الآن وهي على فراشها، كيف ارعبتها نظراته التي كانت تبوح بكل ذلك. ثم بدأت تدرك الهوة التي كانت بينهما، لا من حيث السن فحسب، بل من حيث الخبرة ايضاً. وكان جرفيس رجلاً وسيماً، ناهيك بما كان يتحلى به من قوة وفتون. وكان فارع القامة، مفتول العضلات، مما يجعل قلب اي فتاة يزداد خفقاناً اذا وقع نظرها عليه. غير ان لينسي، لسذاجتها وبراءة عواطفها، رفضت ان تتجاوب معه، او انها تجاوبت ولكن بمغالاة لا تقل عن ذلك سوءاً. وتذكرت حالها العصبية وهي تدخل الدارة التي اعارها لهما احد اقرباء جرفيس، في تلك الجزيرة التي كان يملكها كلها.

وقال لها جرفيس:

ـ حظنا سعيد، على الأقل حظي انا، لأننا هنا في هذا المكان الرائع الجمال.

وارادت لينسي ان تستحم قبل العشاء، ثم تستعد على مهل للذهاب الى الفراش. كان ذلك ضرورياً في نظرها، كما انها لم تتوقع ان يكون جرفيس في عجلة من امره!

ولذلك فوجئت حين تمتم في اذنها قائلاً انه لم يعد يستطيع الانتظار. واخذ ينظر اليها بطريقة ارسلت الرعب بارداً في عروقها. فافلتت منه وابتعدت وهي تصر على الاستحمام، ودهشت حين لم يمانع.

واعلنت انها تتضور جوعاً، ولكن من دون جدوى. كان يمعن النظر في كل موضع منها. وانحنى عليها يعانقها وهي ترتجف. واحست بعينيه ترسلان بريقاً يختلف كل الاختلاف عما عهدته بعد

انقضاء شهر العسل وعودتها الى منزلها في وورتن مانور.

وقال لها:

ـ لا تتصلبي يا لينسي... انت الآن زوجتي بملء رضاك.

فشهقت بالبكاء وهي تصيح قائلة:

ـ كلا، لست زوجتك!

فاستولى عليه الغضب وهو يقول لها:

ـ انت مخطئة، ولا معنى الآن للحياء والخجل والتظاهر بالعفة والبراءة.

واتسعت عيناها ذعراً كأنما لم يكن يكفيها شعورها بالخجل من نفسها وحاولت ان تبتعد عنه، ولكن عبثاً. فظل يلاحقها من غير هوادة الى ان فرغ صبره.

وقال لها:

ـ كان علي ان اصبر، ولكن فات الأوان الآن!

واخذت تدق صدره بقبضتي يديها، وهي تبكي وتصرخ من شدة الرعب. وهكذا دخلت عالماً غريباً اصبح، فيما بعد، مألوفاً كلما تعرفت اليه. وصارت تحبه وتشتاق اليه اكثر مما كان ينبغي.

وفي صباح اليوم التالي، اعتذر لها جرفيس، ولكن من دون ان ترى اي اثر للندم في عينيه. ولذلك لم تستغرب ان يكون الخلاف دب بينهما، حتى قبل مقتل والديها. ولم يكن سهلاً عليهما ان يردما الهوة التي اخذت تتسع بينهما مع مرور الأيام.

وفكرت لينسي الآن في امر عودتها الى جرفيس، فتساءلت اذا كان سيطالبها بحقوقه الزوجية. وحتى لو لم يفعل، فالعيش معه سيكون شديد الوطأة عليها. فهي لم تلاحظ ان تغييراً طرأ على تصرفاته وطباعه. بقي وسيماً وجذاباً، رغم تقدمه في السن، ولكن ذلك لا يعني انها تشعر نحوه بأية عاطفة خاصة. وبالمقابل، فهو لم يكن، في يوم من الأيام، مغرماً بها، والدليل انه لم يعلن لها ذلك. ومع هذا كله، فمن اجل سين، لا بديل لها سوى ان تقبل بالعودة معه الى

لندن.

وكانت لينسي مع سين على الشاطىء حين جاء مارك لينير لزيارتها. وكان جرفيس ذهب الى المطار لاستقبال الحاضنة الجديدة التي استخدمها للعناية بسين. وكان على الحاضنة ان تذهب تواً الى اليخت، وفي اليوم التالي سينضمون اليها هناك. وفي هذه الاثناء يتم تسليم البيت الى صاحبته، وهكذا ينتهي فصل جديد من حياة لينسي.

وكان سين بدأ يفتقد والده. وادهشها انه قبل به في الحال، وبعد بضعة ايام اظهر تردداً حازماً في مفارقته.

وبدا لها ان جرفيس كان هو ايضاً مبتهجاً. على انه ترك المبادرة كلها لسين، وكان سين يتجاوب معه على افضل وجه. ولم يكن من الحكمة، في نظر جرفيس، ان يستعجل نمو العلاقة بينهما. وكان واثقاً ان سين، بعد وقت ليس ببعيد، لن يحلو له عيش الا معه. وتساءلت لينسي كيف ان ولدها، رغم كل ذلك الحب الذي اغدقته عليه، اخذ يفضل اباه عليها، حتى انها كانت تشعر بخيانة سين لها كلما رأتهما معاً.

وكان واضحاً كل الوضوح ان جرفيس كان مشغوفاً بابنه ومرتاحاً لذكائه الحاد، حتى انه بدأ منذ الآن يخطط لمستقبله. وطلب من لينسي ان تعطيه تقريراً عنه منذ ولادته. وحين فعلت، وجد جرفيس ان ولده كان طول سنواته الثلاث سليماً معافى. ومع انه لم يصرح لها بشكره وامتنانه للطريقة التي انشأت بها سين، الا انها شعرت بذلك شعوراً اكيداً.

غير انه افهمها انه من الآن فصاعداً سيتولى، هو بنفسه، مسؤولية تربيته وتنشئته للمستقبل. واذ كان سين، حتى ذلك الوقت، وريثه الوحيد، فمن الطبيعي ان يتخذ هذا الموقف. ولكن لينسي لم تنظر بعين الرضى الى الطريقة التي كان يتجاهل بها الآراء التي كانت تبديها. ثم انه لم يكن يستشيرها في اي شيء، واذا تنازل

واصغى اليها، فانه قلما عمل بمشورتها.

وكانت تفكر في كل هذا، حين اقبل مارك لينير. ولم تشعر بالارتياح وهي تستقبله بنظراتها قبل ان يصل اليها. ونسيت انها وعدته بزيارة مزرعته في يوم ما، وكان هذا تقصيراً منها، خصوصاً وانها تحترم عائلة لينير كل الاحترام، وتشعر بالشوق الى رؤية السيدة لينير. وحياها مارك بصوت اجش وهو ينظر الى وجهها الجميل بنهم شديد وقال:

- جئت لأرى ماذا حال دون البر بوعدك. كنت ابحث عنك في المزرعة كل يوم. وعزمت على المجيء الى هنا مراراً من قبل، ولكني لم اكن متأكداً من انك تستقبلينني بترحاب.

فأجابته معتذرة:

- انا آسفة يا مارك!

وكان سين يلعب بعيداً، فلم يلاحظ قدوم مارك. ودعت لينسي ضيفها، بشيء من العصبية، الى الجلوس. ثم اخذت تروي له بارتباك بعض ما جرى لها. ولم يرق ذلك لمارك، فقال:

- انا لا اصدق ذلك يا لينسي! فمن غير المعقول ان تعودي اليه.

- يجب ان اعود اليه من اجل سين، الا ترى؟

وهنا سمعت صوت جرفيس ينادي قائلاً:

- لينسي!

وقفزت من مكانها، فاذا به وراءها... اتراه سمع ما قالته لمارك؟ وقالت له:

- لم انتظر عودتك بمثل هذه السرعة يا جرفيس.

فأجاب، وهو ينظر الى مارك، قائلاً:

- الا تعرّفينني على صديقك؟

فاستجمعت لينسي قواها وتمالكت نفسها، ثم عرفته الى مارك، فتبادلا التحية من دون ان يتصافحا.

وقال له جرفيس بهدوء:

- ارجو ان تسامحني، فلم يكن لدي الوقت الكافي للتعرف الى معظم اصدقاء لينسي، وحيث اننا سنغادر هذا المكان غداً، فلن يمكنني ان اعوض عن هذا التقصير.

فسارع مارك الى القول وهو ينظر الى لينسي باستياء:

- غداً؟

- نعم.

- اذا كان الأمر كذلك، فهل تسمحين لي ببضع دقائق على انفراد؟

فاجابه جرفيس قائلاً ببرودة:

- لا اظن هذا ممكناً!

وقالت لينسي:

- ولكني اريد ان اودع السيدة لينير...

فأجابها مارك قائلاً:

- والدتي ستقيم حفلة عشاء هذه الليلة يا لينسي. وهذا هو سبب مجيئي الآن. فهي تدعوك الى حضورها، وبالطبع مع زوجك اذا شاء ان يقبل الدعوة.

وتوقعت لينسي من جرفيس ان يرفض الدعوة، ولكنها فوجئت به يقول لمارك:

- لماذا لا؟ اذا كانت والدتك صديقة لينسي، فيجب ان اغتنم هذه الفرصة لتقديم شكري واحترامي لها.

٧ – شيء واحد كانت متأكدة منه وهو ان عاطفتها نحوه اصبحت تختلف كثيراً عما كانت عليه قبل الفراق. من الأسهل ان تعيش معه وهي على خصام حتى تتضح الحقيقة...

ونحو الساعة الثامنة من ذلك المساء، ذهبت لينسي برفقة جرفيس الى حفلة العشاء. وكانت حماستها لحضور هذه الحفلة تلاشت في غضون الساعات القليلة الماضية. كان الجو في السيارة التي اقلتهما متوتراً، والثوب الذي ترتديه لم يرق لجرفيس. وصارحها بذلك حين نظر اليه متأملاً وقال:

ـ هل صنعت هذا الثوب بنفسك كالثوب الذي كنت ترتدينه على ظهر اليخت؟

ـ وماذا لو كنت صنعته بنفسي؟

ـ الا يلاحظ لينير ما ترتدينه حين يأخذك الى السهر معه، ام انه لا يهتم بما يرى؟

وكان الثوب الذي ترتديه مفتوحاً عند اعلى الصدر اكثر مما ينبغي، فقالت معتذرة:

ـ هذا خطأ لم استطع معالجته وانا اقص قطعة القماش. على انه بامكاني ان البس مشبكاً لتضييق الفتحة.

ـ لكن هذا يجذب مزيداً من الانتباه الى كنوزك الثمينة... فالأفضل ان تتركيه كما هو...

وبعد ان ساد الصمت قليلاً، تابع جرفيس كلامه قائلاً:

ـ اظن انك قضيت حياة اجتماعية ممتعة منذ جئت الى هذه الجزيرة، أليس كذلك؟

فأجابته وهي لا تدري اذا كان من الأفضل، لسبب لم تتبينه تماماً، ان تجعله يعتقد انها كانت نجمة اجتماعية لامعة:

ـ قد يكون ظنك في محله!

ـ والعناية بسين، ألم تستوعب كل وقتك؟

ـ وهل تظن ان العناية به ستستوعب كل وقت الآنسة سميث التي استخدمتها؟ سين ليس بحاجة اليها يا جرفيس!

ـ انت التي لا تحتاجين اليها، لأنك تعتقدين ان وجودها يهدد وجودك. وهذا دليل على انك لا تفكرين في ما هو صالح لسين!

وادركت ان في كلامه بعض الحقيقة، فلم تشأ ان ترد عليه بعنف، بل آثرت ان تقول:

ـ لا يجوز لك ان تلومني اذا بدأت اتساءل ماذا سأفعل بوقتي حين اسكن معك؟

ـ لديك الكثير مما يمكن ان تفعليه غير الانشغال بسين!

وهنا وصلا الى مفترق طريق، فخفف سيره وسألها عن الاتجاه الصحيح. وبعد ان سار فيه رمقها بنظرة وقال:

ـ هل انت حقاً منزعجة من الآنسة سميث يا لينسي؟

ودهشت من شدة اهتمامه بهذا الأمر، فأجابت بتردد:

ـ كلا. ولكن بصرف النظر عن اي شيء آخر، فان سين كتلة من الحيوية والنشاط، والآنسة سميث، على ما يبدو، لا تناسبه لتقدمها في السن. فقد لا تستطيع ان تتحمله.

فأجابها جرفيس بنبرة جافة:

ـ هي في الاربعين من عمرها لا اكثر، وتبدو قادرة على احتمال نصف دزينة من امثال سين. وكنت محظوظاً ان احصل عليها بهذه السرعة...

ولم تقتنع لينسي كل الاقتناع بكلام جرفيس. فهي تعرف الكثير عن الحاضنات، اولم تكن هاريت احداهن؟ فهن يتولين كل ما يتعلق بالطفل ولا يتركن شيئاً لأمه، على ان الجدال مع جرفيس لا

يمكن ان يسفر عن نتيجة، فالأفضل اذن ان ترجىء هذا الموضوع الى ان ترى كيف ستسير الأمور.

وتعمدت ان تصرف تفكيرها الى الحفلة التي هما في الطريق الى حضورها، فتساءلت لماذا اظهر جرفيس رغبة شديدة في حضورها؟ ففي لندن كان دائماً يرفض قبول الدعوات الارتجالية. ثم انه، وهو على الشاطىء، اظهر شعوراً عدائياً، ولكنه انقلب فجأة الى مضيف رحّب كل الترحيب بمارك. حتى ان مارك، الذي لا يثق مطلقاً به، تأثر تأثراً حسناً بهذا التصرف وابدى، قبل ان يودعهما، احتراماً بالغاً له. وتذكرت لينسي كم كان جرفيس حلو المعشر وهو يدير اعماله، بحيث كانت والدتها تصفه بأنه يستطيع ان يسحر الطيور فترتمي عن الاغصان.

وحين اقتربا من المنزل، انذرها جرفيس قائلاً:

ـ ارجو ان تتذكري يا لينسي، في هذه السهرة، انك زوجتي. والا اثرت همساً نحن بغنى عنه الآن.

ـ لا لزوم للقلق.

قالت ذلك وهي تخفض رأسها الجميل. سيغادران الجزيرة بالتأكيد ولذلك لم تكن تجد اي ضرر في ان تعطي اصحاب القيل والقال شيئاً يتناقلونه. على انها لن تفعل، لأن هذا لم يكن في طبعها. وساءها ان جرفيس كان يظن غير ذلك.

اوقف السيارة في آخر الممر المؤدي الى المنزل، ثم نزل وفتح لها باب السيارة وساعدها على النزول منها. ووضع يده تحت ذراعها وسار بها الى الداخل وهو يقول:

ـ هذه المنازل القديمة ذات روعة فائقة!

ووافقته على كلامه وهي واقفة الى جانبه تتأمل ذلك المنزل القديم الذي بني على غرار القصور الفرنسية في العصور الماضية.

وقالت لينسي:

ـ لا بد ان يكون السكن فيه ممتعاً جداً.

ـ هل يعرف مارك لينير رأيك هذا؟

ـ كلا.

وفجأة اطل مارك من باب المنزل واسرع للقائهما. ولما دخلا، وجدا ان البيت يغص بالمدعوين. وتمنت لينسي لو انها لم تكن تشعر بالارهاق، ولو ان السهرة كانت تقتصر على بعض اصدقاء السيدة لينير. ولكن جرفيس لم يأبه بذلك، فكثرة الناس لم تكن تزعجه.

وقادهما مارك الى حيث تجلس والدته وقدمهما اليها. ولم تبد السيدة لينير أية ملاحظة على ظهور جرفيس على الساحة، غير ان لينسي تجنبت الانفراد بها، لئلا تصر على معرفة اسباب ظهوره، وكانت السيدة لينير وهاريت تحاولان الجمع بين لينسي ومارك، ولكن لينسي لم تكن تميل الى مارك او ترضى بالزواج منه، حتى ولو بعد طلاقها من جرفيس.

ووجدت لينسي نفسها مضطرة الى مصارحة مارك بموقفها هذا فيما بعد، عندما كانا يرقصان. وبذل مارك جهده لاقناعها بالعودة، ولكن عبثاً...

وقالت له:

ـ من الأفضل ان اكون صريحة معك يا مارك... فأنت لا تريدني ان اخدعك.

وبعد ذلك بنحو ساعة شق جرفيس طريقه وسط جمهور المدعوين المتحلقين حول لينسي وطلب منها ان تراقصه.

وقال لها جرفيس وهو يطوق خصرها عن عمد:

ـ اجدني مضطراً الى التأكيد لهؤلاء الشبان الطامحين اليك انك دون متناولهم.

وحاولت لينسي ان تبتعد عنه قليلاً وهي تقول:

ـ هم مجرد اصدقاء، مع ان بعضهم ليسوا كذلك على الاطلاق!

ـ ولكن هنالك منهم من يريد ان يكون اكثر من صديق، وخصوصاً مارك لينير.

- وهل نسيت انك لا تريدني؟

حدق اليها جرفيس متأملاً وقال:

- من يدري؟ فانت لا تزالين مرغوبة جداً يا لينسي. بل اصارحك القول انك اجمل واكثر جاذبية الآن مما كنت عليه عندما رأيتك لأول مرة!

خفق قلبها، وضمها جرفيس اليه حتى انها اخذت نفساً طويلاً حين بدأت ترتعش تحت تأثير ما كان يختلج في اعماقها من مشاعر واحاسيس.

وتمتم في اذنها قائلاً:

- انت لا تزالين تفتنينني. ولا بد انك ادركت ذلك في الاسبوع الماضي!

- جرفيس!

غير انه لم يأبه باحتجاجها. ونظرت الى عينيه، فاذا هما نصف مطبقتين من فرط الانفعال الذي كان يتأجج في اعماقه. وتساءلت اي نوع من الرجال هو؟

وكأنه لم يعد يحتمل، فأبعدها عنه قليلاً ونظر الى وجهها الذي كان يتوهج بمثل لون الجمر. ثم توقف عن مراقصتها ووقف الى جانب حلبة الرقص يتأملها وهي تراقص رجالاً آخرين، وعلى وجهه امارات الرضى. بل انه حين اخذ مارك يراقصها مرة اخرى لم يبد عليه اي انزعاج. وظنت لينسي انه كان ينعم بوقته في تلك السهرة، ولكنها حين طلبت اليه، بعد منتصف الليل بقليل، ان يعود بها الى البيت لصداع المّ بها، سارع الى قبول طلبها بطيبة خاطر.

وقالت له بعد ان غادرا الحفلة وركبا السيارة:

- لا احب ان ابتعد عن سين وقتاً طويلاً. ومع ان موسيتا فتاة طيبة وعاقلة، الا انني لا استطيع الا ان اقلق عليه.

وذكرها جرفيس انه كلف اثنين من بحارته ان يحرساه، ولكنها اجابت قائلة:

- انه مولع بي... وانا مسرورة جداً لأنني سأذهب معه غداً.

- ولكنك ترتكبين خطأ فادحاً اذا فعلت اي شيء كهذا من اجله!

فدهشت لينسي لهذا الكلام وقالت وهي تحدق اليه:

- اذن، سمعت الحديث الذي تبادلته مع مارك على الشاطىء.

- لم يكن ذلك صعباً.

فتجهم وجهها حيرة وقالت:

- من الواضح انك لم تهتم بذلك الحديث، فلماذا قبلت دعوة مارك؟

فأجابها بشيء من السخرية:

- قبلت الدعوة لأنني وجدتها فرصة سانحة لمعرفة حدود علاقتكما العاطفية، اذا صح التعبير!

- وماذا كانت النتيجة التي استخلصتها؟

- انه لا يثيرك على الاطلاق، اليس هذا صحيحاً؟

- نعم.

ولكنها فيما بعد ندمت على هذا الجواب. وتابعت قائلة:

- وربما يهمك ان تعلم انه طلب الزواج بي.

فسارع جرفيس الى القول:

- يا له من رجل وقح...

ولم يضف على ذلك شيئاً، وسار بقية الطريق وقد بلغ به الغضب مبلغاً فائقاً.

وفي اليوم التالي اقفلا الكوخ للمرة الأخيرة، وقررا ان يتركا مفاتيحه مع محامي هارييت. وكان جرفيس على اتصال به، من دون ان تدري لينسي.

وكانت لينسي ودعت عائلة لينير واصدقاءها في القرية، ولم يبق الا موسيتا. وحزنت لفراق هؤلاء، الا انها شهقت بالبكاء وهي تودع موسيتا وتعانقها بحرارة. وكانت موسيتا على وشك الزواج، وهي سعيدة بذلك. غير انها اقسمت ان لا تنسى لينسي وسين.

واعطى جرفيس مبلغاً لا بأس به من المال الى موسيتا كهدية لمناسبة زواجها العتيد، وتعبيراً عن تقديره وشكره للخدمات التي قدمتها لزوجته وولده.

وكان لهذه البادرة تأثير عميق على موسيتا، فذرفت الدموع وهي تودعهم بحرارة، مما حمل جرفيس الى القول:

- انها لمناسبة مؤثرة، أليس كذلك؟

وامتدحته لينسي على سخائه وقالت:

- اشتريت لها هدية بسيطة، ولكن لم يكن لدي شيء ذو قيمة اهبه لها.

- ومع ذلك، فأنا متأكد انها ستحرص على هديتك البسيطة حتى بعد ان تنفق المال الذي اعطيتها اياه بزمن طويل.

فتعجبت لهذا الاحساس المرهف الذي ابداه، واجابت قائلة:

- ربما.

وكانت الرحلة الى اليخت مثيرة للذكريات اكثر مما تصورت. ففي غضون الاسبوع الذي قضاه جرفيس معهما، تمكنت من ان تريه بعض الانحاء من الجزيرة. ووجدت ذلك اسهل عليها من قضاء وقت طويل على الشاطىء، حيث كان منظره الرشيق يثير في نفسها الاضطراب. وحين اقترح عليها ذات يوم ان يصطحبا سين معهما، رحبت بهذا الاقتراح الى حد بعيد. ولاحظت من النظرة التي رمقها بها ان سبب ترحيبها لم يخف عليه.

وابتهج سين بمشاهدة المناظر في الجزيرة، وخصوصاً قرى الصيادين الناعسة في الجنوب، والنهر المعروف باسم بلاك ريفر غورجيس. ثم تناولوا جميعاً طعام الغداء في احد الفنادق. وبعد الظهر عادوا الى التجول في الجزيرة، وفي طريق العودة الى البيت غلب النعاس سين فاستسلم الى النوم.

وسألها جرفيس قائلاً:

- لماذا لم تصطحبيه لمشاهدة هذه الأماكن من قبل؟

- لأن هارييت لم تشأ ان تتجول في الجزيرة، ثم اننا لم نكن نملك سيارة. وهذه هي المرة الثانية فقط، التي تجولت فيها عبر هذه الأماكن.

- وهل كان سين برفقتك؟

- كان سين طفلاً في ذلك الوقت، وانا لم اكن بصحبة رجل، اذا كان هذا ما تريد ان تعرفه، بل بصحبة هارييت والسيدة لينير.

- ولماذا سميته سين؟

واخافها هذا السؤال المفاجىء، مع انه كان متوقعاً. كانت تعلم انه لا يحب هذا الاسم، ولكنه حين لم يأت على ذكره فيما بعد، حسبت انه كان على استعداد للقبول به.

واجابته قائلة:

- لا ادري تماماً لماذا. هارييت كانت تحب هذا الاسم.

- كان علي ان ادرك ذلك... وهل فكرت في ان تسميه باسمي؟

- بلى، ولكن...

فقاطعها قائلاً:

- هل لأنك لم تريدي ما يذكرك دائماً بي؟

- لا اعتقد ذلك. وعلى كل حال، فعندما تتزوج مرة اخرى، بامكانك ان تنجب بنين سواه.

ولم يعارضها في ذلك، ولكنه سألها قائلاً:

- وهل انت تريدين ان تنجبي مزيداً من الأولاد؟

فتنهدت وقالت:

- كان علي ان افعل ذلك... فعائلة كبيرة شيء مفيد... اما انت، فليس عليك ان تقلق بهذا الخصوص...

وشعرت بالارتياح حين وصلا الى البيت، وبذلك تخلصت من الاستمرار في هذا الحديث الذي كان يزيد في اضطرابها وخفقان قلبها.

وابتهج سين باليخت ابتهاجاً شديداً. وتأكدت لينسي انه في

الأيام القليلة المقبلة سينتهي من اكتشاف كل شبر منه، برعاية الآنسة سميث التي ستحرص على ان لا يصيبه اذى. واعترفت لينسي، في آخر الأمر، ان الآنسة سميث كانت بالفعل مكتسباً مفيداً حققه جرفيس.

كانت حلوة المعشر وقادرة على ان تشغل سين معظم النهار، بحيث ان لينسي لم تكن تراه الا قليلاً. وكان سين، على ما بدا لها، مغتبطاً بحاضنته الجديدة التي كانت نسخة جديدة، وان اصغر سناً، من هاربيت. وشعرت بشيء من الغيرة، حين رأته يتكيف مع التغير الذي طرأ على مجرى حياته، وعزّت نفسها بأنه كان في مرحلة من العمر لا تسمح له بأن يحس تقدير الأمور بعمق.

كان من نتائج انشغال سين عنها كثيراً، انها كانت تنفرد بجرفيس معظم الوقت. وتساءلت اذا كان ذلك بتخطيط من جرفيس أم لا. وحين كانت تستلقي في الشمس على ظهر اليخت، كان غالباً ما ينضم اليها من دون ان يقترب كثيراً. ولم يكن يبدر منه اي تصرف عاطفي صميم يثير الذعر فيها، الا انه كان يكتفي بالنظر اليها وهي ترتدي ثياب السباحة التي كانت تبرز مواضع الفتنة والجمال في قامتها الغضة. وكان حرص قبل الصعود الى اليخت ان يشتري لها بعض الثياب الجديدة الخاصة بالسباحة والاستراحة تحت الشمس.

وفي احد الأيام ارتدت احد تلك الأثواب واستلقت على ظهر اليخت، فيما استلقى جرفيس بالقرب منها. ورمقته بنظرة عابرة، فهالها جسمه القوي وقامته الفارعة. وكانت عيناه مغمضتين وفمه غليظ الشفتين قليلاً وملامح وجهه صلبة تنضح بالرجولة والحيوية والحزم.

وتذكرت لينسي كيف افاقت ذات يوم باكراً، في الأيام الأولى من زواجهما، وهي تشعر برغبة جامحة مجنونة لتتلمس وجهه. غير انها، بالطبع، لم تفعل لافتقارها الى الشجاعة. فهل في وسعها ان تفعل ذلك الآن، لو كانت الحال على خلاف ما هي عليه؟ كانت تدرك انها

لم تعد في زهوة شبابها، ولكنها على الرغم من ذلك لم تكن متأكدة انها فقدت ما كان يكمن في داخلها من مشاعر مكبوتة.

فتح جرفيس عينيه وفاجأها تحدق اليه، فارتبكت وتناولت ابريق القهوة الذي كان قد اتى به الخادم، وقالت:

ـ تكاد تبرد... هل لك بفنجان؟ كنت حائرة هل اوقظك ام لا؟

فأجابها قائلاً:

ـ ليست القهوة وحدها هي الباردة!

ودهشت حين رفع يده واخذ يلامس يدها برفق. واحست بالخدر يسري تحت بشرتها، فتنفست نفساً عميقاً وهو يقول لها بهدوء:

ـ لا ازال قادراً على اثارتك، أليس كذلك؟

ـ انني فوجئت، لا اكثر ولا اقل.

ـ اذا كان ذلك هو السبب، فلماذا لا يزال تنفسك غير طبيعي؟

فنظرت اليه وهي تحاول، عبثاً، ان تعيد تنفسها الى طبيعته. وتمنت لو انه يزيح يده عنها لكي تتمكن من ذلك.

وقال لها وهو يمرر كفه حول خصرها:

ـ انت هيفاء القوام بحيث يصعب التصديق انك حملت وولدت... فكيف كان منظرك حين كنت حاملاً بسين؟

ـ كسواي من الحوامل...

ـ ألم تكوني جذابة، اذن؟

واحست بنظراته تكاد تأسرها، ولكنها رفضت ان تتطلع اليه. كانت الاشهر التي حملت فيها بسين مليئة بالمرارة، عوض ان تكون كلها سعادة وهناء، كما يجب عادة ان تكون بوجود الزوج المحب العطوف.

وأجابته قائلة:

ـ كلا... وكنت اشعر بذلك!

وازاح يده بحنان عن خصرها وقال:

ـ كم كنت اود ان اراك حاملاً!

فاجتاحها لكلامه هذا شيء من الدفء. ورفعت رأسها بسرعة وهي تتساءل هل يريد ان يقول لها شيئاً! ولكن املها هذا خاب حين نظرت الى وجهه فرأته خالياً من أي انفعال.

وقالت له وهي ترتعش قليلاً:

- من حسن حظك انك لم ترني حاملاً.

- ربما...

وكان يحاول ان يتجنب الردود المباشرة على كلامها. وادركت لينسي ذلك دون ان تفهم لماذا. وكذلك لم تستطع ان تفهم لماذا كان يلامسها بيده كما فعل. فمزاجه تغير منذ ابحروا من الجزيرة. كان حلو المعشر ولو بعض الشيء، ولكن حين لا تقاوم اي قرار يتخذ بخصوص سين.

وقال لها:

- والآن، هل لي بفنجان قهوة؟

فاسرعت الى الابريق تصب منه فنجاناً وهي تقول:

- يخيل الي من لهجة كلامك انك تعتبرني حمقاء!

- ان كنت كذلك، فالكسل يلائمك. فانت زاهية زاهرة، ولا يحق ان اتذمر. ويقيني انك هكذا كنت قبل ان تحملي بسين؟

فتجهم وجهها وقالت بغيظ:

- قبل؟ وهل تعني...

فقاطعها قائلاً بابتسامة:

- كم انت ذكية اليوم! ولكن ما لنا ولهذا الموضوع، فهو غير مهم.

واستاءت لينسي من اصراره، بين الحين والآخر، على التحرش بها، فيما يتعلق بسين. فهل يكون ان الحياة على ظهر اليخت، وفي عرض البحر، مجلبة للضجر؟ كلا، فهي لا تجدها كذلك، الا اذا كان جرفيس يتلهى ويسلي نفسه على حسابها!

وشعرت بالحاجة الى الابتعاد عنه، فقامت وقفزت في مياه المسبح. واخذت نظرات جرفيس تلاحقها وتتأملها، بحيث لم تعد

البركة ذلك الملجأ الذي ظنت انه يحميها من مضايقاته. فما كان منها الا ان سبحت الى الضفة المقابلة وصعدت من الماء.

واخذ الماء يتساقط عنها بغزارة. وحانت منها التفاتة الى جرفيس، فرأت انه لا يزال يراقبها. فسرت رعشة في كيانها كله، حين ادركت انه لن يترك اية شاردة او واردة تغيب عنه، فيما يتعلق بها...

وسارت الى الجهة الاخرى من المسبح، حيث كان جرفيس والى جانبه ثوب الحمام. ولما انحنت لتتناوله امسك جرفيس بكاحلها قائلاً:

- هل انت ذاهبة الى غرفتك؟

- نعم.

فابتسم قائلاً:

- سألحق بك الى هناك.

هل كان كلامه هذا اقتراحاً ام ماذا؟ وكانت تعرف انه كان بارعاً في استعمال الكلمات، بحيث يبذل جهده لأن يتحاشى الالتزام بأي موقف. وكان لكل منهما غرفته الخاصة على ظهر اليخت، لأن آخر شيء كانت تريده هو ان يشاركها غرفتها.

فأجابته بابتسامة باردة:

- لماذا؟

فأفلت كاحلها ونهض واقفاً على قدميه، ثم وضع يده على ذراعها وتمتم قائلاً:

- يحق للمالك ان يتفقد ملكه بين الحين والآخر!

اتراه كان يشير الى غرفتها؟ فهو لم يدخلها منذ احتلتها في يوم ابحارهما. وادركت انها لا تزال تشعر بأثر قبضته على كاحلها وخصرها. وتمنت لو انه يفلت الآن ذراعها لتتمكن من التفكير بوضوح وصفاء.

وقالت له:

- لو لحق اي اذى باليخت، لأعلمك الخادم بذلك.

ـ ربما طلبت منه ايضاً ان يعلمني كيف تكون حالك حين تستيقظين صباحاً. بل ربما حاولت ان احمل اليك طعام فطورك...

ـ اياك ان تدخل غرفتي، فانا لا اريدك هناك. هكذا عاهدتني، أليس كذلك؟

فبادرها الى القول:

ـ لم اعاهدك عهداً قاطعاً. كل ما في الأمر اني دعوتك الى المجيء معي اذا شئت، فلبيت الدعوة. وقبل ذلك نصحتك ان تتروي قبل اعطائي الجواب، وفي صباح اليوم التالي لم تغيري رأيك، ولكن بدون اي شروط بيننا. صحيح اننا اتفقنا على امرين او ثلاثة ولكن على نحو غير محدد.

ـ ولكنك لم تصر على ان يكون الاتفاق مكتوباً!

ـ من دون محام لا يساوي الاتفاق الورقة التي يكتب عليها.

ـ كان في وسعي ان استعين بمحامي هارييت.

ـ هذا صحيح، ولكنك كنت تدركين في قرارة نفسك ان لا حجة قانونية لديك بخصوص سين... وانت تبحثين عن حجة تعزز دعواك، قبل ان تبلغي ذلك الحد...

هل هي تبحث بالفعل؟ وودت لينسي لو انها كانت، هي نفسها، على علم بذلك. فهي اصبحت غير واثقة مما كانت تريده.

وتطلعت اليه بنظرة تنم عن الخضوع، فقال لها:

ـ اذن، يمكنني ان آتي الى غرفتك؟

فهزت برأسها علامة الايجاب.

وتردد جرفيس قليلاً حين لاحظ امارات المسكنة على وجهها، فقال لها:

ـ كل ما اريد هو ان اتحدث اليك عن امر ما، من دون ان يقاطع حديثنا شيء. فاذا سبقتني الى الغرفة، فسألحق بك بعد بضع دقائق...

ولم تشأ ان تلجأ الى المماحكة عبثاً، فسارت الى غرفتها. وهناك

استحمت، وتمكنت من تمشيط شعرها قليلاً ولبست رداء طويلاً اظهر ملامح قامتها بوضوح مثير.

وعندما خرجت من غرفة الحمام، كان جرفيس في انتظارها، ويداه تحت رأسه. فذكرها ذلك بآخر مرة رأته فيها، فاسرعت الى خزانة ثيابها وهي تقول له:

ـ ارجوك ان تنتظر حتى اكمل ارتداء ملابسي!

فنهض بلمحة عين وجذبها اليه قائلاً:

ـ لا ضرورة لذلك، فلن ابقى هنا طويلاً... تعالي واجلسي هنا. فانت رائعة الجمال كما انت، وانا واثق من اني استطيع ان اضبط نفسي، فلا امد يدي اليك في الدقائق الخمس التالية...

وكان ارتدى سروالاً صيفياً والقى قميصاً على كتفيه العريضتين من دون اكمام. وكان الطقس حاراً، مما جعل الحرارة تنضح من جبينه.

وافلتت من يده وجلست في كرسي. ولكنه عاد وامسك بها وقال:

ـ اجلسي هنا وبرهني لي انك تستطيعين ان تقاوميني بقدر ما استطيع ان اقاومك!

فسألته قائلة باستعلاء:

ـ ما هذا؟ العبة جديدة تريد ان تلعبها معي؟ هل اردت، بالفعل، ان تتحدث معي عن امر ما، يا جرفيس، ام انك تحاول ان ترفّه عن نفسك؟

فتطلع اليها بسخرية وقال:

ـ لم تعودي ترفهين عني منذ مدة طويلة يا لينسي. اردت ان اخبرك اني سأرسل سين والآنسة سميث من اسبانيا. لأنني سألتقي بعض الاصحاب هناك، وافضّل ان لا يكون سين موجوداً. وبالاضافة الى ذلك، فانا بحاجة الى غرفته وسائر الغرف الاخرى لايواء الضيوف.

فرمقته لينسي بنظرة سريعة، فيما اخذ قلبها يزداد خفوقاً، وقالت:

- هذا يخنك، وهؤلاء هم اصحابك. . . ولكن اما كان يمكنك الاستغناء عنهم ولو لمرة واحدة؟ قلت انك تريد التعرف جيداً الى ابنك، وفي نفس الوقت تريد ابعاده عنك!

- اجريت هذه الترتيبات، قبل ان اعرف ان لي ابناً. وكنت في طريقي الى الجزيرة اوصلت هؤلاء الناس الى شاطىء اسبانيا، حيث يملكون قصراً. ووعدتهم بان آتي اليهم في طريق عودتي.

وعلا الاحمرار وجه لينسي للهجة التأنيب في كلامه، وخصوصاً لأنها ادركت خطأ الملاحظة التي ابدتها. فقالت له:

- اعذرني على الملاحظة التي تسرعت بابدائها. وعلى كل حال، فانا افضل ان ارافق سين والآنسة سميث.

فأجابها بحزم قائلاً:

- لكن لا تنسي انك لا تزالين زوجتي، وستبقين معي. فماذا يقول الناس اذا اختفيت مرة اخرى؟

ولم يخطر لها ذلك ببال، فسألته قائلة:

- وهل هنالك من يتذكرني؟

- كيف لا؟ خصوصاً بعد الضجة التي اثارها اختفاؤك. واني اتشوق الى رؤية ردة الفعل عند هؤلاء الذين سنجتمع بهم، لأنهم ظنوا في اعماق نفوسهم اني قضيت عليك واخفيتك!

وارادت ان تنطق بنكتة، جواباً على كلامه، على انها حين نظرت اليه ورأت وجهه المتجهم، غيرت رأيها وقالت:

- يسرني، على الأقل، ان اعيد الحق الى نصابه.

فلم يتفوه بكلمة، تعليقاً على كلامها.

وتابعت قائلة مشيرة الى سين:

- الا يشعر بالخوف حين يصل الى لندن؟ فهو لا يعرف احداً هناك. . .

- والدتي ستستقبله. وسينزل عندها مع الآنسة سميث. وفيما بعد نأخذه نحن الى قصرنا في الريف. وهو سيحب ذلك المكان، الا

توافقين؟

- ومن لا يحب ذلك المكان؟

- يسرني انك تحبين شيئاً ما. ولكن لا انت ولا هو سيكون له مقدار الحرية التي كانت له في جزيرة موريتيوس. الا تدركين ذلك؟

ولم تكن لينسي متأكدة من انها ادركته. على انها لم تحب التهديد المبطن الذي انطوت عليه نبرة صوته، فقالت:

- نوع الحياة الذي قضيناه في الجزيرة كان ممتعاً، ولكنه يصبح من غير معنى بعد مرور وقت من الزمن. . . وانا، في الحقيقة، لا احب الحرية المطلقة، ولا الكسل.

فتأملها ملياً وهو يجيب قائلاً:

- لن يكون لك الكثير مما تعملينه في وورتن. . . في الظروف العادية كنا اكثرنا من انجاب الأولاد، مما كان يشغل وقتك وفكرك معاً.

وصعد الاحمرار الى وجنتي لينسي، فأحنت رأسها لتخفي ذلك عنه. وقالت له:

- لعلني اتدرب على القيام بعمل ما، وهذا يسعفني بعد طلاقنا.

فلم يجب. وكان عليها ان تترك هذا الموضوع، ولكن حافزاً ما جعلها تقول له:

- انت تريد الطلاق، اليس كذلك؟

ففاجأها بجوابه قائلاً:

- لست متأكداً من ذلك. فالزوجة مفيدة من عدة وجوه.

- ولكني كنت اعتقد انك ستتزوج مرة ثانية.

- لست مستعجلاً.

واحست لينسي بالغصة في قلبها وهي تقول:

- وهل صديقتك مستعدة ان تنتظرك؟

- جميع النساء على استعداد للانتظار، هكذا وجدت! والآن، ما رأيك يا لينسي؟ من الأسهل ان نعيش معاً، اذا كان في وسعنا ان

نكون صديقين.

وازدحمت الافكار في رأسها وهي تشيح بنظرها عنه. قد لا يكون من السهل عليها العيش مع جرفيس على هذا الأساس، فهي لم تكن متأكدة من حقيقة شعورها نحوه، غير ان شيئاً واحداً كانت متأكدة منه، وهو ان عاطفتها نحوه اصبحت تختلف كثيراً، من حيث الكثافة والعمق، عما كانت عليه من قبل هجرها له ولذلك يكون من الأسهل ان تعيش معه، وهي على خصام، من ان تعيش معه وهي على ود وصداقة. ولكن ما الحيلة، اذا كانت لا تريد ان تعيش بعيدة عن سين!

وقالت له ببطء:

ـ اذا سكنت انا في وورتن، وانت سكنت في لندن، فلن تكون هنالك صعوبة في ان نعيش كصديقين.

ـ لماذا؟ الأنك تعتقدين اننا لن نلتقي الا لماماً؟ سأعود الى البيت كل مساء يا لينسي. وهنالك ايام سأقضيها في البيت ليلاً ونهاراً، كما ان هنالك اياماً اريدك ان تكوني فيها معي في لندن!

ـ لماذا؟

ـ لاني اكثر من اقامة الحفلات، واحتاج الى مضيفة.

ـ وماذا اذا رفضت؟

ـ لك ان ترفضي. ولكن عليك ان تتأكدي من ذلك قبل ان ترفضي!

٨ – ترى هل هذا الذي جرى بينهما سيغير كل شيء منذ الآن؟ كان ما يزال هو هو ولكنها لم تستطع ان تصدق انه من الممكن بعد الآن ان يعاملها كما يعامل الغريب. . .

وفجأة ادركت لينسي انها لن ترفض. فهي في شوق شديد للذهاب الى وورتن مع سين وجرفيس. ومع انها لم تكن متأكدة من بعاد التزامها اذا هي ذهبت، الا ان اي التزام كان افضل، في ظرها، من قضاء عمرها كله من دون زوجها وابنها.

وقال لها جرفيس:

ـ عليك ان تحرصي على ان لا تقعي في حب رجل آخر. انا اعلم نك لست مغرمة بي، ولكن حين توافقين على المجيء الى وورتن، لا اريد ان اخسرك مرة اخرى.

فأجابت قائلة:

ـ لا رجل آخر في حياتي ولن يكون.

تجهم وجهه قليلاً، ولمحت لينسي الكراهية بادية عليه، فتمتمت قائلة:

ـ كنت اتصور ذلك!

ـ ماذا؟

ـ لا شيء. كنت احدث نفسي!

ـ يا لها من عادة رديئة. . .

وتعجبت حين ابتسم لها. وشعرت، تحت تأثير ابتسامته، برغبة في تطويقه بذراعيها لتظهر له انها لم تعد تلك الفتاة الجاهلة التي عرفها في الاسابيع الأولى من زواجه بها.

نهض جرفيس ومشى نحو باب الغرفة وهو يقول:

ـ لدي عمل يجب ان اقوم به. سأراك فيما بعد.

ومع انها كانت تريد ان يفارقها، الا انها كانت في الوقت نفسه تشعر برغبة مجنونة في تأخيره قليلاً، فنادته وقالت:

ـ لم تخبرني شيئاً عن هؤلاء الاصدقاء الذين ستتوقف في اسبانيا من اجلهم... هل اعرفهم؟

ـ لا اظن. كانوا خارج البلاد حين كنت معي... هم الاخوان انطوني وجيمس فورسايث وزوجتاهما. وليس لهم اولاد.

ـ لا، لا اتذكرهم.

رفع جرفيس يده مودعاً وهو يقول:

ـ اراك قريباً.

كانت الأيام القليلة التي قضوها، قبل وصولهم الى جنوبي فرنسا، ممتعة جداً. وكان جرفيس يصرف معظم وقته في غرفته منهمكاً في عمله، ولكنه لم يهمل سين ولينسي، بل كان يجالسهما بقية وقته. وكانوا، من حين الى آخر، يتوقفون عند المصايف الشهيرة على الساحل وينزلون لقضاء بعض الوقت. وكان جرفيس احياناً، يرسل سين وحاضنته الى اليخت، فيما يبقى مع لينسي لتناول طعام الغداء في احد المطاعم الشهيرة، وكانت لينسي تتمتع كثيراً بهذه النزهات، حتى انها كانت تتمنى لو تدوم طويلاً. وساعدت ايام الراحة والاستجمام التي قضتها في هذه الرحلة على اعادة الكثير من حيويتها السابقة. فبدت في زهوة عمرها ورونقها ونشاطها، وادركت لأول مرة منذ زمن بعيد، ان الحياة كلها امامها وفي متناول يدها.

ووصل اليخت الى منتون حيث كان جرفيس مقرراً ان يلتقي اصدقاءه ويصعدهم الى اليخت، ولكن قبل الموعد بيوم واحد، وذلك ليتسنى له مرافقة سين والآنسة سميث الى مدينة نيس ليستقلا الطائرة من هناك الى انكلترا.

وحين تم كل ذلك، عاد جرفيس ولينسي الى منتون لتغيير

ملابسهما وتناول الطعام في احد الفنادق الفخمة. وكانت منتون مدينة ساحلية قديمة، تغص بالحوانيت الصغيرة ومقاهي الرصيف. وكان جوها دافئاً وساحراً، بحيث احبتها لينسي حباً جماً.

وارتدت لينسي الثوب الابيض الذي اشتراه لها جرفيس في نيس، بعد توديعهما سين والآنسة سميث على المطار. وهو انما اشتراه لها لكي تتشجع وتنسى فراق سين، كما قال. وكان، بالفعل، ثوباً زاهياً شفافاً، زاد في رونقها وزرقة عينيها ونعومة بشرتها، حتى ان جرفيس وجد صعوبة في اشاحة نظره عنها.

وكان الطعام الذي اختاره جرفيس، من دون ان يستشيرها، لذيذاً شهياً، وكذلك الفاكهة والقهوة. وبعد الفراغ من الطعام رقصا معاً على الشرفة تحت ضوء القمر، على انغام موسيقى هادئة حالمة.

وملأت البهجة قلب لينسي، غير انها كانت تشعر بالغصة لفراق سين، وعبثاً حاولت التغلب عليها. وكان جرفيس اخبر سين بانه سيركب الطائرة الى لندن، فلم يظهر عليه اي اعتراض. بل انه اهتم بالأمر واخذ يكثر الاسئلة عن لندن وجدته الجديدة. على ان هذا لم يمنع تمسكه بوالدته عند لحظة الفراق.

واحس جرفيس، وهو يراقصها ويطوقها بذراعيه، بالقلق الذي كان ينتابها، فسألها عما بها، فأجابت قائلة بأسى:

ـ لا استطيع ان امنع نفسي من القلق على سين...

ـ لا مبرر لقلقك هذا ... فهو ابني!

نعم، كان ابنه، ولا ريب في ذلك. وكان يتصف بكل ما يتصف به والده من الذكاء والتعقل، ولكنه كان صغير السن. وهذا ما عجز جرفيس عن ادراكه في نظرها. نظرت اليه بشيء من الاضطراب وقالت:

ـ لم يفارقني من قبل.

ـ اذن، حان له ان يعتاد على ذلك. مضى عليك الآن نحو ثلاث سنوات من العناية به كأم، فلماذا لا تحاولين من الآن فصاعداً ان

تبذلي جهدك لتعيشي ايضاً كزوجة؟ فقد يفيدك هذا التغيير!

- ليس من السهل نسيان سين واجراء التغيير بين ليلة وضحاها.

- دورك كأم يطغى على اي دور آخر. وهذه عادة غير حميدة على الاطلاق!

- هل العناية التامة بطفلي عادة غير حميدة؟

فشدها اليه بعنف قائلاً:

- كفاك يا لينسي! انت تعلمين ما اعني، فأنت لست غبية الى هذا الحد.

فلم تجبه بشيء، ولكن حين تعثرت رجلها تنهد وعاد بها الى المائدة. وهناك تناولا الشراب المنعش، فحاولت لينسي الظهور بمظهر الابتهاج، حتى انها كانت تقهقه ضاحكة بين الحين والآخر. وكان جرفيس يراقبها بابتسام، ثم عاد بها الى الشرفة، حيث رقصا مرة اخرى. وهذه المرة لم تمانع في ان يكونا قريبين.

وعندما رجعا الى اليخت، كانت لا تزال تشعر بنشوة ابعدتها بعض الشيء عن الواقع. ولاحظت ان جرفيس ايضاً ترك شيئاً من تحفظه جانباً واخذ يتصرف بروح من المرح. وحين سار بها الى غرفتها امسك بذراعها لئلا يختل توازنها بسبب تمايل المركب يميناً وشمالاً. وعند باب الغرفة حيته مودعة، ففتح لها الباب ودخل معها، ثم اقفل الباب بيد واحدة، فيما ابقى يده الاخرى ممسكة بذراعها. ونظر اليها وناداها باسمها على نحو جعل الدم يجري حاراً في عروقها. ولما كرر نداءه بصوت حنون اجش، رفعت رأسها وحدقت اليه كأنها تجيب على ندائه ولكن بصمت.

وسارع جرفيس الى اغتنام الفرصة، فعانقها برفق واناة هذه المرة. وبقي كذلك الى ان بدأت تقاومه وتبعده عنها، فثار غضبه وشدها اليه، في عناق طويل غامر.

واخذت لينسي ترتجف. واحست انها لم تعد تقوى على تحمل وطأة التعبير عن حاجته اليها، فما كان منها الا ان انساقت مع التيار.

وشعرت بدقات قلبه المتسارعة على صدرها وحاولت ان تكتم المشاعر التي اخذت تملأ كيانها، ولكن عبثاً.

وهمس في اذنها قائلاً:

- ايروق لك هذا؟

وسرتها نبرة صوته التي تنم عن الرجولة الواثقة من نفسها. وخيل لها انها في حلم لذيذ لا تريد الاستفاقة منه.

وساد الصمت بينهما وتعطلت لغة الكلام. ولأول مرة تركت لينسي العنان لمشاعرها وعواطفها. فمن قبل كانت تخاف من ان تطغى عليها، اما الآن، فلم تعد تبالي.

وفي صباح اليوم التالي، غادرها جرفيس وهي بعد تغط في نوم عميق. وحين افاقت ومدت يدها الى مكانه علمت انه لم يكن هناك. فنهضت جالسة وهي تحاول ان تتذكر ما جرى لها في الليلة الفائتة. وسرها انها وحدها، وان في وسعها الآن ان تخلو الى نفسها في محاولة لايجاد مبرر لتصرفها.

كان جرفيس زوجها، غير انه كان مغرماً بها ايضاً. ولكن ذلك لم يكن يعني، في نظرها، انه يحبها حقاً. وتوجعت لهذه الخاطرة، فدفنت وجهها بين يديها واخذت تشهق بالبكاء.

على انها سرعان ما حاولت ان تجمع قواها. ونهضت من الفراش، فاستحمت وارتدت ثيابها وهي تفكر بأن الوسيلة الوحيدة لتبرر لنفسها ما حدث هي في ان تندد بسلوك جرفيس وتتهمه بالتغرير بها في ساعة ضعفها العابر. غير انها لم تستطع ان تقنع نفسها بهذه الفكرة، مما جعلها تدرك انها انما تصرفت بملء ارادتها ففيما مضى كانت تشعر بخيبة الأمل والفراغ النفسي. اما هذه المرة، فكانت تشعر بما يشبه شعور الانتصار والتحرر مما كان، حتى ذلك الحين، يقيدها ويعطل عفويتها وحيويتها.

ثم تذكرت وتساءلت ماذا كان يفعل في تلك اللحظة. وساءها انها لم تتذكره منذ ليلة البارحة، وعجبت كيف كان ذلك ممكناً.

وسارعت الى الخروج من الغرفة تفتش عنه. وحين لم تجده في غرفة الجلوس، نزلت الى غرفة الطعام، ظناً منها انه ربما كان يتناول طعام الفطور. فقيل لها هناك انه مع القبطان. ورفضت ان تتناول طعام فطورها قائلة للخادم:

ـ سأتناوله بعد ان اتحدث الى زوجي.

وعندما وجدته مع القبطان لم تبتسم له وهي تحييه تحية الصباح، وقالت له:

ـ كنت افتش عنك لتخبرني اذا كان سين وصل الى لندن بسلامة...

فحملق جرفيس فيها وقطب جبينه واجابها قائلاً:

ـ نعم. استقبلته والدتي، وهو الآن يقيم معها.

فأعلنت لينسي عن سرورها بهذا الخبر، حتى انها التفتت الى القبطان وابتسمت له. وكان القبطان نهض واقفاً عند دخولها واخذ ينظر اليها متأملاً حركاتها وسكناتها. وكانت لينسي معجبة بهذا القبطان الذي يدعى كارل ديفيس، والذي كان مطلقاً من زوجته ومجايلاً لجرفيس. ولاحظ جرفيس نظرات ديفيس التي كانت تنم عن اعجاب يشوبه الكثير من التودد، خصوصاً وان لينسي لم تكن ترتدي ثيابها بالحشمة المطلوبة، وذلك للسرعة التي ارتدتها بها. وبدا ان ديفيس ولينسي نسيا وجود جرفيس، فتبادلا النظرات وكان سيطر عليهما جو من الانخطاف والذهول.

اقترب جرفيس منها وامسكها بذراعها بشيء من العنف قائلاً:

ـ هل تناولت طعام الفطور؟

ـ كلا.

ـ اذن اسرعي وتناوليه، وسألحق بك بعد قليل.

وهكذا صرفها كما يصرف المعلم تلميذته، فاحمر وجهها من الحياء وتساءلت: لماذا لم يعاملها كامرأة ولو هذه المرة؟ ولماذا لم يطوقها بذراعه علامة الحب والاعجاب؟ صحيح ان كارل ديفيس كان

هناك، ولكن هذا يجب ان لا يمنعه من اظهار مشاعره الطيبة نحوها. وسالت الدموع من عينيها، خصوصاً حين ساورها الشك في حبه لها وتقديره لتجاوبها معه.

وفي طريقها الى غرفة الطعام كانت ثقتها بنفسها تلاشت تحت تأثير خيبة املها في جرفيس كعاشق غيور عليها. ربما كان منهمكاً في العمل، الا ان النساء يملن الى اعتبار اي دليل على اللامبالاة بهن، ولا تلميحاً، اهانة شخصية لهن.

ومهما يكن، فلم يلحق بها جرفيس فيما بعد، كما وعد. فما كان منها، بعد طول انتظار، الا ان عادت الى غرفتها. ولم تشعر بالرغبة في اخذ حمام شمسي على ظهر اليخت، بل آثرت ان تذهب الى جرفيس لتوجه اليه السؤال الذي يشغل بالها اكثر ما يكون. غير انها خشيت، ان هي ذهبت اليه، ان لا يكون لها الشجاعة الكافية لتوجيه هذا السؤال: لماذا بقي معها تلك الليلة؟

وتذكرت انها لم تنم طويلاً، واخذت تؤاخذ نفسها متسائلة هل يا ترى هذا الذي جرى سيحدث تغييراً في علاقتهما؟ كان وجه جرفيس قاسياً صلباً هذا الصباح كعادته، غير انها لم تستطع ان تصدق انه من الممكن، بعد الآن، ان يعاملها كما يعامل الغريب.

ودخل جرفيس الى غرفتها، فيما كانت تحاول تصفيف شعرها وترتيب هندامها. وفوجئت بدخوله، حتى انها ارتبكت وتوقفت عن اتمام عملها. وعادت اليها عصبيتها، فظهرت للعيان على وجنتيها اللتين علاهما الاحمرار. ونظرت اليه، ثم لم تلبث ان اشاحت بنظرها عنه.

وقال لها:

ـ آل فورسايث سيحضرون لتناول طعام الغداء.

ـ حسناً. سأكون مستعدة لاستقبالهم.

ـ لماذا تنظرين الي هكذا يا لينسي؟ ليس في نيتي ان اتابع ما بدأنا به فيمكنك ان تطمئني...

وفكرت لينسي في ان تجيبه على كلامه هذا بالقول انها تريد ان يتابع ذلك، ولكنها لم تجرؤ. كانت غاضبة على نفسها لأنها عادت الى تصرفها كفتاة خجولة. غير انها حاولت ان تتغلب على هذا الضعف بالقول له:

- الم يرق لك ما جرى؟

- هذا لا يهم. كل ما في الأمر اني اغتنمت الفرصة وفعلت ما فعلت. ولست نادماً، بل سعيداً جداً بما فعلت. واتضح لي انك قادرة على الانطلاق عندما تشائين. ولكنك الآن عدت الى عادتك في الانكماش على نفسك، حتى انك لا تنظرين الي لشدة حيرتك وارتباكك!

فعضت على شفتها وقالت:

- لا يا جرفيس. هذا غير صحيح. لم اكن فاقدة الوعي ليلة امس!

ومشى جرفيس نحوها والقى يديه على كتفيها وشدها اليه، ثم راح يعانقها باصرار شديد وهو يقبض على شعرها.

وحين افلتها وابعدها عنه قليلاً، رفعت يدها وهوت بها على خده انتقاماً منها على القساوة التي ابداها في معانقتها. فما كان منه الا ان ادار ظهره لها وخرج من الغرفة.

وكان عليها ان تستعد لاستقبال آل فورسايث. وادركت ان الوقت يداهمها، وانها في الحال المضطربة التي كانت عليها، قد لا تتمكن من الظهور امام الضيوف بالمظهر اللائق الذي يريده جرفيس. وشعرت بشيء من الدوار وهي تعبر الغرفة، فاستلقت على فراشها واخذت تشهق بالبكاء. وبعد حين تمالكت نفسها ونهضت تغسل وجهها وتجمله بالمساحيق قدر المستطاع.

ثم فتح باب الغرفة مرة ثانية ودخل جرفيس، فبادرته بالقول:

- لست متأخرة الى هذا الحد... بعد دقائق اكون مستعدة لاستقبالهم، فهل حضروا؟

ففوجئت عندما اجابها قائلاً:

- هذا لا يهم. حضروا باكراً. غير اني لم اجيء لهذا الغرض، بل لأخبرك ان والدتي التي كنت اتحدث اليها بالتلفون منذ لحظة قالت لي انها تشعر بقلق على سين.

- سين؟

- خففي عنك ولا تنفعلي الى هذا الحد. كل ما في الأمر هو انه ربما اصيب بزكام. هذا كل ما فهمته منها، لأن الخط كان مشوشاً جداً.

فحدقت اليه لينسي وصاحت به قائلة:

- وكيف تريدني ان لا اقلق؟ قد لا تقلق انت مثلي، لأنك لم تختبر بعد حياة الأبوة...

- ومن قال لك اني لست قلقاً انا ايضاً؟ ولكني احاول ان اضبط نفسي، وارجو ان تحاولي انت ايضاً يا لينسي.

- ارجوك ان تعذرني. انا آسفة لما بدر مني... والآن علينا ان نذهب اليه سريعاً، أليس كذلك؟

- وكيف لا؟ وانا حجزت مقعدين في طائرة بعد الظهر.

وظهر الارتياح على لينسي، فقالت له وهي تبتسم في وجهه:

- شكراً لك يا جرفيس. انا مدينة لك بهذا المعروف.

- ولماذا كل هذا يا لينسي؟ هو ابني ايضاً.

- طبعاً... ولكن ماذا عن الضيوف؟

- بامكانهم ان يعودا الى لندن على ظهر اليخت. وهم لا يمانعون في ذلك.

فقالت لينسي متذمرة:

- لو سافرت البارحة، لما كان حدث لسين ما حدث، ولما كان عليك ان تقطع رحلتك.

- هل علي دائماً ان اذكرك انك زوجتي وان مكانك هو معي؟

- ولكن زواجنا ليس زواجاً عادياً!

- نعم، لأننا لم نعطه الفرصة اللازمة للنجاح!

فوافقت على كلامه وتذكرت اوليفيا جيمس. وتابع جرفيس كلامه قائلاً:

ـ لا بأس الآن، ما دام الجميع يعتبرون ان عودتنا الى العيش معاً هي نتيجة مصالحة سعيدة بيننا. وليس لأحد ان يعلم ان هذه المصالحة مؤقتة. لك ان تكرهيني ما شئت، لكن في السر لا في العلن!

وودت لينسي لو انه يعلم كم هي مغرمة به. وقالت له:

ـ يجب ان احزم حقيبتي. وسأكون جاهزة بعد قليل.

ـ لا تأخذي الا الضروري من الثياب. يمكنك ان تشتري ما تحتاجين اليه في لندن... وتذكري ان عندنا الآن ضيوفاً.

وبعد نحو عشر دقائق، حين لحقت به، فوجئت برؤية اوليفيا جيمس بين الضيوف. فلماذا لم يخبرها جرفيس بذلك؟ وشعرت بالاضطراب يستولي عليها، ولكنها تمالكت نفسها بصعوبة وهي في طريقها لمصافحتهم.

وسارع جرفيس الى لقائها، فامسك بذراعها وسار بها الى الأمام نحو الضيوف وقال:

ـ لا اظن انكم تعرفتم الى زوجتي... اوليفيا فقط تعرفت اليها من قبل.

واقبلت لينسي تصافحهم، فرداً فرداً، بابتسامة خجولة. ثم قالت لها احدى الزوجات:

ـ يؤسفني ما سمعته عن ولدك.

وقالت اوليفيا:

ـ سرني جداً ان يكون لكما ولد... فهل تراه يشبه اباه؟

وساد الجو ارتباك شديد لما ينطوي عليه هذا السؤال من شك في ابوة جرفيس له. غير ان جرفيس لم يرتبك ولم يحرج ابداً، بل اجاب بهدوء تام:

ـ سين يشبهني كل الشبه.

فوضعت اوليفيا يدها على ذراعه وقالت:

ـ كم انا متشوقة الى رؤيته يا عزيزي. وسأبادر الى زيارته، حالما نصل الى لندن.

علا الاصفرار وجه لينسي، واستولى عليها الاستياء، بحيث لم تستطع ان تضبط نفسها الا بصعوبة قصوى. ولاحظ جرفيس استياءها، فسارع الى القول لها:

ـ سترافقنا اوليفيا الى لندن بالطائرة.

وتغلبت الحيرة على لينسي، ولم تعرف ماذا كان القصد من كل ما يجري. اتكون اوليفيا، لا سين، وراء سرعة عودته الى لندن؟ وذلك لأنه لم يكن يريد ان يتركها وحدها مع ضيوفه، لئلا يوجهوا اليها اسئلة محرجة عن العلاقة بينهما؟

فتمتمت قائلة بهدوء لم تصدق انها كانت قادرة عليه:

ـ على الرحب والسعة... هذا يسرني، لا بل يسرنا، كثيراً.

وبعد تناول طعام الغداء، تحدث جرفيس الى القبطان في بعض التفاصيل. ثم قرر الضيوف ان ينزلوا الى غرفهم لتفريغ حقائب سفرهم، وبقيت لينسي مع اوليفيا، على الرغم منها. وشعرت، في حضرة اوليفيا، انها طفلة بريئة، مما زاد ايضاً في كآبتها المريرة.

وكانت اوليفيا فتاة بارعة الجمال، هيفاء القامة سمراء البشرة، وما كانت تفتقر اليه بطبعها اكتسبته بتطبعها. وبدا انها كانت في راحة تامة على ظهر اليخت، مما جعل لينسي تتساءل كم مرة يا ترى ترددت اليه من قبل.

وطلبت اوليفيا من الخادم مزيداً من القهوة، ثم اقتربت وجلست بجانب لينسي وقالت لها:

ـ اذن، ها انت وجرفيس تعودان الى العيش معاً الى حين!

الى حين؟ وشق على لينسي ان تسمع مثل هذه الملاحظة من امرأة لا بد وانها تعرف كل شيء عن علاقتها مع جرفيس. وحارت بماذا تجيب، لشدة القرف الذي شعرت به. وتابعت اوليفيا

تهجمها قائلة:

ـ انت تعلمين ولا شك انه كان ينوي الطلاق منك، ولكنه لسوء الحظ لم يستطع ان يجدك!

وارادت لينسي ان تنهض وتتركها وشأنها، ولكن شعوراً ما سمّرها في مكانها. واجابت قائلة:

ـ كان بامكانه ان يحصل على الطلاق من دون موافقتي، ان كان هذا هو بالفعل ما اراده.

فسارعت اوليفيا الى القول:

ـ نعم، كان هذا بالفعل ما اراده، لأنه كان عازماً على الزواج بي. ولولا انصرافي التام الى المسرح، لكان بذل مزيداً من الجهد للحصول على الطلاق!

وتساءلت لينسي في نفسها لماذا طلب منها جرفيس ان تقيم معه، اذا كان ما تزعمه اوليفيا صحيحاً، هل يكون انه طلب منها ذلك من اجل سين، لا اكثر ولا اقل؟

وقالت لها بصيغة السؤال:

ـ وهل انت لا تزالين راغبة في الزواج به؟

ـ نعم، وكيف لا؟ ولكن ليس الآن، بل بعد سنتين، لأنني يجب ان اعير اهتماماً الى مهنتي في الحياة. ولكن احب ان اتزوج قبل ان ابلغ الثلاثين.

ـ وستنجبين اولاداً؟

ـ ليس في الحال. جرفيس وانا لم نبحث بعد هذا الموضوع. وقد نكتفي بسين... هذا اذا كان بالحقيقة ابنه!

وهنا اقبل جرفيس. وتجهم وجهه حين شاهدهما معاً على انفراد، ولكنه لم يستطع ان يقول شيئاً لأن ضيوفه كانوا يتبعونه. وانقضت بقية النهار من دون ان يفارقهما جرفيس مرة اخرى. ثم حان موعد توديع ضيوفه اولاً ثم القبطان.

وكان القبطان تناول طعام الغداء مع الضيوف، ولكنه استدعي

الى مهمة قبل الانتهاء من تناول الطعام. وامسك بيد لينسي اكثر مما كان لائقاً وقال في وداعها:

ـ ارجو ان تجدي ولدك على خير ما يرام، يا لينسي!

وهنا جرها جرفيس بذراعها وابتعد بها قائلاً باستياء:

ـ منذ متى اصبح هذا الرجل يخاطبك باسمك الأول؟ وكيف تسمحين له بذلك؟

ولم تفهم لينسي ما كان يرمي اليه. فهي لم تجد اي سبب للاعتراض، بل كانت، على العكس، تجد في مخاطبة القبطان لها باسمها الأول دليلاً على حرارة عاطفته نحوها.

وكان المطار مزدحماً بالمسافرين، ومعظم المقاعد في الطائرة فرادى. ولكن جرفيس استطاع احتلال مقعدين متلاصقين، واجلس لينسي الى جانبه. وكان الغضب بادياً على وجهه في حركاته، مما بعث الهول في قلب لينسي واوليفيا التي احتلت مقعداً عبر الممر. ولكنها قبل ان تضطر الى ذلك، قالت بوقاحة:

ـ لا بد ان لينسي تفضل الجلوس في هذا المقعد!

فأجابتها لينسي وقد هالها ما رأته من البغض الذي يشع من عينيها:

ـ انا لا ابالي أين اجلس!

فسارع جرفيس الى القول:

ـ انا ابالي... فاجلسي حيث انت!

وبعد قليل من الصمت، قال لها وهو يزيل المتكأ الذي يفصل بين مقعديهما:

ـ ايزعجك ان اتوسع في الجلوس قليلاً... فأنت اصغر حجماً مني بكثير!

ولما اجابت بالايجاب، اخذت تشعر بصلابة كتفه على كتفها.

وكانت اوليفيا، طول الرحلة، تتحدث الى جرفيس. فأطالت الكلام على مسرحيتها المرتقبة وشكرته على العون الذي قدمه اليها

لاخراج المسرحية السابقة. وكانت نبرة صوتها خشنة بعض الشيء ومثيرة. واصغت لينسي الى كلامها، بمزيد من الحزن، وخصوصاً حين اخذت تغازل جرفيس بكل صراحة.

وكان جرفيس، بين الحين والآخر، يلتفت الى زوجته القابعة الى جانبه ويسألها اذا كانت بخير. وكانت لينسي تشير اليه برأسها شاكرة له اهتمامه. ومع انها حاولت ان لا تشعر بالغيرة، الا انها لم تنجح. فالعلاقة، على ما بدا لها، كانت حميمة جداً بين زوجها واوليفيا، بحيث لم تشعر بالغيرة فحسب، بل باللجوء الى البكاء.

وفي مطار لندن، كان الطقس اكثر برودة منه في جنوبي فرنسا، فسرت القشعريرة في جسمها. ولاحظ جرفيس ذلك، فاسرع بها الى سيارة تاكسي، وقال لاوليفيا:

- اننقلك معنا الى حيث تريدين الذهاب؟

- اود ان اذهب لأطلب من والدتك اذا كانت تستضيفني الليلة. فهي، كما تعلم، تحب دائماً ان تراني!

- ليس هذه الليلة يا اوليفيا.

وكان من الطبيعي ان لا يريد جرفيس وجود زوجته وصديقته تحت سقف واحد. هكذا فكرت لينسي وهي تقدر لجرفيس رهافة ذوقه في هذا الخصوص.

وقالت له اوليفيا بحسرة:

- اذن اوصلني الى شقتي.

- بكل سرور.

وأصغت لينسي الى ما تبادلاه من حديث فقالت في نفسها: على من تراهما يكذبان ويتحايلان؟

وفي الطريق من المطار الى البيت، تجاهل جرفيس زوجته عن عمد وانصرف الى اوليفيا يحدثها طول الوقت. فكأنه بذلك اراد ان يعاقب لينسي، لسبب او لآخر.

٩ - ما ابعد البداية عن الحاضر! ها هو يعترف لها بأنها تعطيه الآن اكثر مما يتوقع. لقد تغيرت كثيراً. بل تغير كلاهما!

كانت والدة جرفيس تسكن ايضاً في شقة، فتساءلت لينسي ماذا سيكون رأي سين فيها. كان بيت هارييت يمنحه حرية تامة، وهو لم يعرف في حياته بيتاً آخر. زد على ذلك انه كان معتاداً على مجاورة البحر. ومع ان شقة جدته كانت واسعة، فانها تظل بعيدة الشبه عن بيت هارييت على الشاطىء.

وساورها القلق من اجل ذلك، غير انها لم تعرب عن قلقها هذا لجرفيس، حين رن جرس الباب ووقف على العتبة ينتظر من يفتح له. وكانت تقف بجانبه وترمقه بنظرات حائرة. وحين يتعافى سين من مرضه كانوا جميعاً سينتقلون الى قصر وورتن في الريف، حيث تتاح له حرية الحركة التي تعوّد عليها.

وسألت جرفيس قائلة:

- هل لا يزال لك بيتك في حي تشلسي ؟

- نعم. ولكننا سننتقل الى وورتن من هنا.

وفتح احد الخدم الباب قائلاً:

- السيدة بارادين بانتظاركما يا سيدي.

وكانت والدة جرفيس تقيم في باريس عند احد اقاربها حين زواجهما، ولكنها جاءت الى لندن لحضور العرس. وكان ذلك آخر مرة رأتها فيها لينسي. على انها كانت تتذكرها كامرأة هيفاء القامة، ذات لكنة اجنبية كابنها جرفيس.

وكانت السيدة بارادين جالسة في غرفة الجلوس الفخمة، تتسمع الى برنامج من الموسيقى الكلاسيكية، حين دخل عليها جرفيس ولينسي. فرحبت بهما في حرارة وهي تمد يدها لمصافحة لينسي فسألتها لينسي قائلة:

ـ كيف حال سين؟

ـ سين؟

وابتسمت باعتزاز. وكانت هذه هي المرة الأولى التي رأتها لينسي تبتسم فيها. ذلك انها كانت مقطبة الجبين طول يوم العرس، ثم سمعتها لينسي فيما بعد تقول لجرفيس بأن عروسه جميلة ولكنها صغيرة السن بالنسبة اليه.

وكانت لهجة السيدة بارادين ترق كلما تحدثت عن حفيدها. وقالت هذه المرة:

ـ سين ولد رائع حقاً، وهو يشبه جرفيس حين كان في سنه... وانت يا لينسي، اخطأت في الهرب وفي كتم خبر ولادته عنا.

فقال جرفيس:

ـ ما لنا ولهذا الحديث الآن. لينسي قلقة على سين. فهل بامكاننا الذهاب الى مقابلته؟

ـ ولكنه نائم في فراشه الآن. والآنسة سميث ايضاً اوت الى فراشها في الغرفة المجاورة لغرفته. والليلة الماضية، يا لينسي، بكى من شوقه اليك، غير انه هذه الليلة لم يكن منزعجاً. وذهبت بنفسي لأراه، منذ اقل من نصف ساعة، فوجدته مستسلماً للرقاد كالملاك.

فالتفتت لينسي الى جرفيس قائلة:

ـ ولكنك اخبرتني انه مريض...

فنظر جرفيس الى امه قائلاً:

ـ اما اخبرتني بالتلفون انه مصاب بزكام؟ ام ان الخط كان مشوشاً، فلم افهم كلامك بوضوح؟

وظهر الارتباك على السيدة بارادين وقالت:

ـ هل اخبرتك بذلك؟ كل ما اذكره هو اني قلت انه يشكو من شيء يشبه الزكام، مما قد يكون ناتجاً عن تغيير المناخ.

فردد جرفيس قوله:

ـ نعم، كان خط التلفون رديئاً جداً.

وحاولت والدته ان تتذكر، ثم قالت:

ـ نعم، كان مشوشاً بعض الشيء. وعلى كل حال، اؤكد لكما ان سين على ما يرام. فلماذا لا تذهبان اليه الآن، وانتما في طريقكما الى غرفتكما؟ ستنامان هنا، أليس كذلك؟

فأجابها جرفيس باختصار وهو يمسك بذراع لينسي:

ـ هذه الليلة فقط.

فابتسمت السيدة بارادين قائلة:

ـ اذهبا، اذن. وبعد ان تشاهدا سين وتغيرا ملابسكما، عودا الي لتناول طعام العشاء. اريد ان اعرف اكثر ما يمكن عن حفيدي.

ويبدو ان جرفيس، في المناسبات القليلة التي يقيم فيها مع والدته، كان يحتل الجناح نفسه من الشقة. وكان دائماً مجهزاً لاستقباله. وبعد ان شاهدا سين، سارا الى ذلك الجناح.

وشعرت لينسي بالارتياح حين وجدت ان سين لم يكن مريضاً، وحين اخبرتهما الآنسة سميث عن حالته الصحية ما اخبرتهما السيدة بارادين تماماً.

والآن، فما ان دخلت مع جرفيس غرفة النوم المعدّة لهما، حتى تراجعت مذعورة وهي تصيح:

ـ لا، لا اريد ان انام هنا!

فبادرها جرفيس الى القول بعصبية ظاهرة:

ـ هدئي روعك! لا احد سيطلق عليك النار... هناك غرفة داخلية صغيرة يمكنني ان انام فيها.

ـ اذن، لا بأس... لم اكن اعلم بذلك.

فأجابها وهو ينزع سترته ويلقيها جانباً:

- هنالك الكثير مما لا تعلمين شيئاً عنه بعد. . .

وكان على ظهر قميصه بعض بقع العرق، فمالت لينسي بنظرها عنه وهي تقول له:

- لا استطيع ان افهم لماذا زعمت ان سين مريض. . .

وخانها لسانها فتابعت قائلة:

- يبدو لي انك كنت مستعجلاً العودة الى لندن مع اوليفيا!

- اوليفيا؟

صاح بنزق وهو يفك ازرار قميصه. واخذ قلب لينسي يخفق بشدة، وهي تجد صعوبة في اخفاء اضطرابها، وقالت:

- انا اعرف انكما عاشقان منذ زمن بعيد، ولذلك لم يكن من الضرورة ان تقوم بمثل هذه المناورة.

فانقض عليها وامسكها بكتفيها وهزها قائلاً:

- ما هذا الذي تحاولين ان تتهميني به باطلاً؟ اسمعي وافهمي جيداً. البارحة، عند عودتنا الى اليخت بعد توديع سين والآنسة سميث، طلبت من القبطان ديفيس ان يتصل بلندن فيما بعد ليتأكد من انهما وصلا الى هناك بالسلامة. فاذا كان كذلك، فليس عليه ان يخبرني بالأمر قبل الصباح.

- ولماذا لا؟

فظهر العبوس على وجه جرفيس وهو يحدق اليها:

- لاني رأيت ان لا ضرر من ان يتصور ديفيس اننا كنا سنقضي ليلتنا معاً!

فعلا الاحمرار وجهها وقالت:

- ولكننا لم نفعل!

- بلى، وكيف لا؟

- اذا كان الأمر كذلك، فيبدو لي انك لم تكن راضياً!

- وكيف يكون ذلك؟

- أنسيت تصرفاتك المشاكسة معي هذا الصباح؟

- كلا، لم انس. وتصرفاتي لم تكن سوى رد فعل على ما ظهر عليك من شعور بالندم!

ورأت لينسي ان من الأفضل ترك هذا الموضوع الشائك، فتمتمت قائلة:

- هذا لا يفسر ما جرى قبل الغداء. اعني كل تلك الاخبار المثيرة للخوف والذعر.

- لم تكن مثيرة بهذا القدر الذي تصفينه. في بادىء الأمر كنت انقل اليك ما اخبرني به ديفيس، على ان اشرحه لك، لو لم تزعجيني.

- ازعجك.

- نعم، لأنك لم تكوني في ثياب محتشمة، مما جعل ديفيس يطيل النظر اليك!

- انا لا اذكر شيئاً من هذا. كل ما اذكره اني كنت قلقة على سين. . .

وساور جرفيس الشك في كلامها، غير انه سارع الى اخفائه قائلاً:

- دعيني اولاً ارد على تهمتك لي بخصوص اوليفيا. فبعد خصامنا في الغرفة على ظهر اليخت، عزمت ان اتصل بلندن بنفسي، وفيما انا اتحدث الى والدتي بالتلفون، صعد الاخوان فورسايث وزوجتاهما الى ظهر اليخت وبرفقتهم اوليفيا. . .

- ألم تكن تنتظر قدومها؟

فبادرها بالقول وهو يشد بعنف على كتفها:

- كلا، على الاطلاق. فهي لسنوات عديدة تفاجئني بحضورها، ولسنوات عديدة ايضاً وانا احاول التخلص منها. وكان علي ان استعمل جميع الحيل، لأن المصارحة لا تنفع معها. فظلها ثقيل للغاية.

ولم تستطع لينسي ان تصدق اذنيها. اصحيح هذا الذي يعترف به؟

وقالت له:

- ان كنت لا تريد مجيئها، فلماذا لم تأمرها بالنزول من اليخت؟

- ربما لأنني لم اتعلم ان اكون قاسياً الى هذا الحد. ثم انني اعرف واحترم عائلتها. ولكن ما قمت به اليوم، كان لمساعدة آل فورسايث ونفسي انا ايضاً. والظاهر انها فاجأتهم بزيارتها لهم في دارتهم، منذ بضعة ايام. ويبدو ان عينيها على جيمس فورسايث.

- كنت اظن ان عينيها عليك انت!

- نعم، وعلى كل رجل. غير انها تفضل واحداً على آخر. هي حسناء، ولكنها لا تحب الا ما يفيدها في عملها. طلقت مرتين، لأن زواجها في المرتين لم يكن على اي حظ من النجاح. وحين رأيتها قادمة هذا الصباح، ادركت اني يجب ان اتصرف بسرعة، اذا كان لي ان اتجنب بضعة ايام من الفوضى على ظهر اليخت. وخيل الي انها، حين اخبرهم بأن سين ليس في صحة جيدة، ستقرر العودة الى لندن معي. وبذلك قد اكون احسنت الى فورسايث.

وحارت لينسي في فهم ردة فعلها على هذا الكلام، ولكنها بدت غير ايجابية. هل يمكن ان تكون على خطأ في امور عديدة؟ فقالت له:

- الآنسة جيمس اخبرتني بعد الغداء بانكما ستتزوجان بعد طلاقنا.

- هل اخبرتك بذلك؟

- وهل هذا غير صحيح؟

- على الاطلاق.

- ولكن الم تكن مغرماً بها في يوم من الأيام؟

- كلا! وقلت لها ذلك بصراحة، قبل اسابيع قليلة من زواجنا. واخبرتها بحزم ان عليها ان لا تحاول مطلقاً ان تغريني لتحملني على تغيير رأيي هذا. وكانت تلاحقني باستمرار، بالتلفون وبزياراتها في مكتبي، حتى انها طالما استسلمت الى البكاء ندماً على سلوكها ومؤكدة في انها ستتركني وشأني. ولسوء الحظ انها لم تستطع ان تفعل

ذلك حتى الآن.

- ولكنها قالت انك ساعدتها في اخراج مسرحيتها الاخيرة!

- وهل تظنين ان ذلك زاد في تشجيعها على الاستمرار في محاولاتها؟ كان الذي انتج المسرحية صديقاً لي وهو الذي طلب الي مساعدته. وكان لأوليفيا دور ثانوي فقط في المسرحية، مع العلم انها ممثلة بارعة.

وحملقت لينسي في وجهه، كما لو انها افاقت فجأة من حلم عميق، وقالت له:

- كانت هي السبب في هجري لك واختفائي... كنت على يقين انه كان لك معها علاقة حب وغرام!

فتجهم وجه جرفيس وقطب حاجبيه، ثم قال وهو لا يصدق ما سمعته اذناه:

- ايعقل ان تكوني هربت الى جزيرة موريتيوس لهذا السبب وحده؟ ولماذا لم تسأليني عن حقيقة علاقتي بأوليفيا؟ امن اجل ذلك قضيت على زواجنا، وسببت لي سنوات من الأسى والقلق؟ آه، هذا لا يصدق... وتستحقين عليه عقاباً قاسياً!

وتملكه الغضب الشديد، مما اخاف لينسي كثيراً، فانكمشت على نفسها مبتعدة عنه. واستندت الى خزانة الثياب، مخافة ان تخونها ركبتاها. وتساءلت ماذا اصابها حتى تعترف له بهذا الاعتراف؟ لم يكن الوقت ملائماً بعد، ولكنها لم تستطع ان تكتم الأمر اكثر من ذلك. وكيف لها ان تخبره كل الحقيقة، حقيقة مشاعرها وهواجسها، وهو يحدق اليها والشرر يتطاير من عينيه؟ لم يكن يحبها، فما الفائدة من التصريح له بما تكتم في اعماق قلبها؟

وتمتمت قائلة:

- انا آسفة.

- آسفة؟ هل تعلمين اني حين رأيتك لأول مرة في تلك الجزيرة، حلفت اني سأقتص منك؟ والآن، وحق السماء سأفعل. وسيكون

القصاص كاملاً، لا نقصان فيه، فتعرفين قريباً كيف يكون الألم والعذاب!

واخذت لينسي تشهق بالبكاء وهي تصيح قائلة:

ـ انت . . . انت لم تكن تريدني!

ـ يا الهي! كيف تقولين هذا الكلام لرجل لم يمض على زواجه عندئذ سوى اسابيع قليلة. . . انت التي لم تكوني تريدينني. لي اخطائي، ولكني على الاقل قمت من جانبي بما يفرضه علي عقد الزواج. وكان علي ان اعيش حياة الزهد والتقشف، واغلق بابي محكماً في وجه سواك من النساء. . . ولم اسلك مع النساء الا في حدود الأدب والتهذيب، بعد زواجي بك.

وفيما كان جرفيس يتكلم، كانت لينسي تطبق جفونها في بؤس شديد. واتضح لها هول ما فعلت. وادركت انه لم يكن لديها اية حجة تبرر هربها. لماذا لم تعمد الى التفكير في تعقل، بدل ان تسمح للذعر ان يستولي عليها كتلميذة المدرسة؟ بل حتى لو كانت كتلميذة المدرسة، لما جاز لها ان تفعل ما فعلته. واعادت الى ذاكرتها تصرفاتها السخيفة الرعناء مع جرفيس، وكيف كانت تتظاهر لماماً بالصداع عندما يحاول ان يطارحها المودة. ثم الم يكن من الأفضل ان تخبره انها كانت في الجزيرة؟ صحيح انها لم تكن في حالة صحية جيدة، الا ان ذلك لا يبرر الامتناع عن الاتصال به.

وقالت له بانكسار لم تصدق جدواه حتى اذناها:

ـ سأحاول . . . سأبذل جهدي ان اصطلح واعوض عن اخطائي.

ـ وهل بالفعل تعتقدين ان ذلك ممكن؟

وكانت نبرة صوت جرفيس الصارمة ترافقها نظرات آكلة، مما جعل لينسي في حال من الحيرة والارتباك لم تسمح لها بصفاء التفكير. وادركت بجلاء ووضوح انها ارتكبت خطأ فادحاً وعليها الآن ان تحاول تقويمه بطريقة من الطرق، ولكنها لم تستطع ان تجمع تفكيرها

على شيء. ربما يتم لها ذلك فيما بعد، ولكن ليس الآن وهي على ما كانت عليه.

وقالت له بنبرة حزينة:

ـ يجب ان لا نجعل والدتك تنتظرنا طويلاً. . . فهيا بنا، بعد ان اغسل يدي قليلاً.

وراودها الأمل في ان تساعدها الاقامة الى حين مع السيدة بارادين على العودة الى صفاء الذهن وان تجعل جرفيس اكثر رفقاً بها.

وارسل جرفيس ضحكة ساخرة وقال:

ـ الا يخطر ببالك انها لا تستغرب تأخرنا في غرفة النوم، وهي تعلم اننا نجتمع بعد فراق طويل؟

فاحمر وجه لينسي خجلاً مشوباً بالخوف وتساءلت هل هذا بداية العذاب النفسي الذي انذرها انه سينزله بها؟

وفيما بعد، حين عادا الى غرفة النوم، لم تكن اقرب مما مضى الى ايجاد حل لمشاكلها. فهي فكرت في ان تتنازل له عن سين، ولكنها صرفت عنها هذه الفكرة لاعتقادها باستحالتها، خصوصاً وانها على كل حال لا تؤدي الى استرجاع حب جرفيس لها. واذا كان لها من امل في ذلك سابقاً، فان ما صرح لها به ذلك المساء جعل ذلك الأمل يتلاشى. وخطرت لها فكرة اخرى جعلت شعور الألم يسري في مفاصلها، وهي ان تعرض عليه استعدادها للعيش معه كما لو كان زواجهما عادياً، فهو لم يكن يريد الطلاق منها، وهناك رجال كثيرون توقفوا عن حب زوجاتهم ومع ذلك ظلوا معهن!

وعمدت لينسي الى تفريغ حقيبتها من الثياب القليلة التي جاءت بها. وفي اثناء العشاء، عاملها جرفيس معاملة فظة، على الرغم من حضور والدته، فكيف يمكن ان يقبل العرض الذي فكرت فيه؟ وكيف يمكن لهما ان يعيشا معاً في جو من الكراهية المستمرة؟

وبعد ان استحمت، لبست ثوب النوم الذي كان اشتراه لها جرفيس في بورت لويس. وتذكرت انه كان عليها ان تشتري بعض

الملابس، قبل الذهاب الى قصر وورتن غداً. ومن اجل ذلك، ترتب عليها ان تطلب مالاً من جرفيس. وهو امر لم يكن يروق لها، خصوصاً وانها لم تكن تملك شيئاً.

وحين خرجت من غرفة الحمام الى غرفة النوم، سمعت تحركات جرفيس في غرفته الصغيرة المجاورة. وكان الباب بين الغرفتين مغلقاً، فتشجعت وطرقت الباب بعصبية. وفي الحال فتحه جرفيس وهو يلف خصره بمنشفة الحمام.

وازداد خفقان قلبها حين وقعت عيناها على كتفيه العريضتين وصدره المغطى بشعر كثيف ولكنها تمكنت ان تقول له بصعوبة:

ـ لا يصح ان تنام في هذا الفراش الضيق!

قالت ذلك وحملقت فيه بوداعة تثير الشفقة، فيما هو صامت لا يجيب بشيء. ولكنه لم يلبث ان قال لها:

ـ هل تعرضين علي ان اشاركك غرفتك هناك؟

ولما اجابت بالايجاب، تابع كلامه قائلاً بنبرة جافة:

ـ اذا قبلت ما تعرضينه علي، فقد لا اريد ان انام طويلاً. في الليلة الفائتة انا الذي اخذت، على الأقل، في البداية. ولكنك في النهاية انت التي اعطيت اكثر مما كنت اتوقع. انت تغيرت يا لينسي، وانا ايضاً، ولكني اريدك ان لا تندمي على شيء تفعلينه!

فتلعثمت وهي تجيب قائلة:

ـ اني اعرض عليك النوم براحة في هذه الليلة... وانا مدينة لك بالكثير!

فبادرها الى القول:

ـ تبدين لي كتلميذة تمرنت طويلاً على شيء، ولكنها ظلت عاجزة عن اتقانه. انا مستعد ان اوافق معك على انك مدينة لي بالكثير، واعترافك الآن بذلك خطوة في الاتجاه الصحيح!

واربكتها سخريته. كانت تحاول ان تكون وديعة متواضعة، ولكنه لم يكن يساعدها على النجاح في محاولتها هذه. غير انها، حين

تراجعت الى الوراء حزينة مهزومة، مد يده وجذبها اليه قائلاً:

ـ هل كنت فعلاً تعتقدين اني كنت سأنام وحدي في هذا السرير الضيق؟

وتطلعت اليه لينسي وهي حائرة في امرها. ولكنها لم تشأ ان تقف منه موقفاً سلبياً يتنافى مع عزمها على التنازل عن حقها في الاعتراض على اي شيء. فاذا كان ذلك هو العقاب الذي ينوي ان ينزله بها، فيجب ان تتعلم القبول به من دون تذمر. على ان عناقه الحار لها، اذا كان هو العقاب، فما كان احلاه من عقاب!

وتمتم جرفيس في اذنها قائلاً:

ـ نعم، سأقبل...

وفي صباح اليوم التالي اخبرها، وهما يتناولان طعام الفطور، ان عليه ان يقوم بمهمة قبل سفرهما الى وورتن. وفي هذه الاثناء، ستتاح لها فرصة شراء ما تحتاج اليه من ملابس.

ووافقت لينسي على ذلك، على الرغم من انها لم تكن في حياتها تحب الذهاب الى السوق. واستولى عليها شوق شديد الى جزيرة موريتيوس، فهل كان ذلك مرده الى الرغبة في الحياة الهادئة التي كانت تنعم بها هناك؟ صحيح ان هارييت كانت مستبدة الرأي، الا انها لم تكن تنظر اليها بالكراهية التي ينظر اليها بها جرفيس الآن.

على انها ادركت ما كانت تستحقه من ازدراء تنم عنه نظرات جرفيس اليها وهما يتناولان طعامهما. وتساءلت كيف يكون ذلك وقبل ساعة او ساعتين كانت تنعم بحبه؟ واستغربت لماذا كانا على مثل هذا البعد وهما متقاربان روحاً وجسماً؟ وعوضاً عن ان تحمد نقمة واحدهما على الآخر، كانت تستعر في لحظة وتصبح لهيباً يتهددهما معاً بالهلاك؟

وبعد ذلك اخذت سين في نزهة، ثم جاءت به الى جدته، حيث شرب كوباً من الحليب واخبر والدته بعض ما شاهده ذلك النهار، وبدا لها انه كان مسروراً باقامته في تلك الشقة مع جدته، وسألها عدة

اسئلة عن لندن وعن وورتن ايضاً، واذا كانت جدته ستذهب ايضاً الى هناك.

فأجابته قائلة:

ـ كلا، يا عزيزي. جدتك لا تغادر لندن هذه الأيام، ولكنها قد تذهب الى وورتن، فيما بعد، لقضاء نهاية الاسبوع.

وحين انشغل سين عنها، قالت السيدة بارادين للينسي:

ـ كم انا سعيدة بأن يكون لي حفيد كسين، وبأن اراكما، انت وجرفيس، تعودان الى العيش معاً.

فابتسمت لينسي وتمنت لو ان هذا الحديث ينتهي هنا. غير ان السيدة بارادين اصرت على توجيه جملة من الاسئلة وكان على لينسي ان تجيب عليها. ولحسن الحظ لم تكن الاسئلة شخصية ومحرجة، لأن السيدة بارادين لم تكن من النساء اللواتي يعشقن الثرثرة وحشر انوفهن في ما لا يعنيهن. ما ارادت ان تعرفه هو شيء عن حياة لينسي في جزيرة موريتيوس. ولم تلبث ان شعرت ان تخوفها من السيدة بارادين تلاشى، حتى انها بدأت تدرك فائدة التحدث الى الآخرين.

والواقع ان لينسي تعجبت من روح التسامح التي اظهرتها حماتها، ومن شعور الاحترام الذي اصبح متبادلاً بينهما، بعد ساعة فقط قضتاها في تجاذب اطراف الاحاديث، قبل تناولهما طعام الغداء.

وخلصت لينسي الى الاعتقاد ان السيدة بارادين امرأة منصفة. وتأكد لها ذلك حين قالت:

ـ يجب ان يدين واحدنا الآخر يا لينسي، لأن احداً لا يعرف تماماً ما يجول في خاطر الآخر. ولا عجب في ذلك، فالانسان احياناً لا يعرف ما يجول في خاطره هو، فكيف في خاطر الآخرين؟ ومعظم الناس يحكمون على ظواهر الاشياء، وهذا غالباً ما يؤدي الى احكام خاطئة. فانا على يقين انك هجرت جرفيس لأسباب آمنت بوجاهتها، ولكني ارجو ان لا تعودي الى هجره مرة اخرى!

وتأثرت لينسي بهذا الكلام، حتى انها كادت تصرح لها بكل

شيء. غير انها ترددت في ذلك لشعورها بأن من المستحيل تفسير ما كانت ستصرح به.

وقالت لها بصعوبة:

ـ جرفيس هو الذي يتركني هذه المرة. جرحت كبرياءه، فضلاً عن اخطاء اخرى، وهذا مهم جداً في نظر الرجل.

فأجابتها حماتها قائلة:

ـ اذا كانت كبرياؤه فقط هي التي انجرحت، يا عزيزتي، فهو لا بد ان يتعافى مع مرور الأيام. في هذا الصباح دخل الى غرفتي قبل ان يغادر المنزل، فشعرت انه يكاد يطير فرحاً بابنه، وانه شديد الفخر والاعتزاز به. وهو في ذلك على حق، لأن سين ولد نجيب جداً. فعليك، يا عزيزتي، ان تجعلي مما لديكما اساساً تبنين عليه المستقبل. ولعل الأيام تأتي بالخير للجميع.

ونزلت لينسي الى السوق بعد الغداء. وكان جرفيس اخبرها بانه عليها ان تشتري من الحوانيت نفسها التي فتح لها فيها اعتماداً مالياً بعد زواجهما. على انها لم تذهب الا الى حانوت واحد منها واشترت بعض السلع بسرعة فائقة، بما في ذلك سترة شتوية ومعطف. وكانت السماء تمطر حين خرجت، مما ذكرها بالطقس في انكلترا. وبالاضافة الى ذلك اشترت فساتين للسهرة تلائم الريف.

وحينما رجعت الى الشقة فوجئت بوجود جرفيس هناك ويقوله لها انه ارسل سين والآنسة سميث الى وورتن، على ان يلحقا بهما فيما بعد.

ـ وكيف تفعل ذلك؟

ـ لاني ارى انه من الخير ان يتعلم العيش بدونك.

وحدقت الى وجهه الأسمر الوسيم، وهي غاضبة بعض الشيء. على ان غضبها اضمحل حين تذكرت كيف حرمت جرفيس من ابنه اربع سنوات. وها هي الآن تتذمر لأنه حرمها منه ساعات معدودة.

فاستدركت قائلة:

ـ هو لا يزال طفلاً... ونحن اعتدنا على البقاء معاً!

ـ على اية حال، ارجو ان لا تكرري كل ما قلته لي حين ارسلته الى هنا من فرنسا.

ـ انا آسفة يا جرفيس لاثارتي هذه المسألة، خصوصاً ونحن سنلحق به الى وورتن عما قريب... فمتى يكون ذلك؟

ـ ليس اليوم. سنبقى في لندن ليلة اخرى، ووالدتي ستتعشى خارج البيت، وبامكاننا في هذه الاثناء ان نقوم بجولة في انحاء المنزل...

ـ المنزل؟

ـ نعم. ويبدو لي ان كل ما اقوله يدهشك يا لينسي. كنت غائباً مدة شهرين او اكثر، كما تعلمين، ومن الطبيعي ان اتأكد من ان كل شيء بقي على حاله في غيابي.

قال ذلك بشيء من السخرية، ولكنها حاولت ان تغض النظر، كما حاولت ان تخفي استياءها من عدم الاسراع في اللحاق بسين، لئلا يغضب جرفيس اكثر مما هو غاضب.

وقالت له:

ـ وهل لديك سبب خاص يجعلك تريد الذهاب الى المنزل، غير الذي ذكرته، وهو التأكد من ان كل شيء فيه على ما يرام؟

فأجاب معترفاً:

ـ نعم. ذلك اني قررت ان يكون لسين وللآنسة سميث غرف خاصة بهما، عند اقامتنا في وورتن. وبعد اختيار هذه الغرف، سأستدعي مهندساً تجميلياً لتجهيزها كما يجب.

ولم تشعر لينسي بالارتياح لهذا التدبير حين ذهبا الى المنزل بعد تناول الشاي، لأنها كانت تحب ان تشرف على تجهيز غرفة سين بنفسها. ففي جزيرة موريتيوس طالما تمنت ان تجهز غرفته الخاصة

به. والآن، عندما صار بامكانها ان تفعل ذلك، لم تعط فرصة تحقيق ما تمنت.

فسألت جرفيس وهما يتجولان في الطبقة الثانية:

ـ الا تظن اننا كنا نجد متعة لو قمنا نحن بهذا العمل؟

فأجابها ببرودة:

ـ اسمعي. ليس عندي الوقت ولا الموهبة لذلك!

ـ انا اتولى كل شيء!

ـ كفى يا لينسي. من الأفضل ان نكلف ذوي الاختصاص بهذه المهمة!

وسكتت لينسي على مضض، ولكنها ابدت معارضتها حين اختار جرفيس ثلاث غرف لسين في مؤخر الطبقة الثانية. فقالت له:

ـ اليس من الأفضل ان تكون غرفة سين اقرب الينا؟ حتى اذا صادف ان سهرت الآنسة سميث خارج البيت، فلا يكون هنالك سبب للقلق عليه؟

ـ ولماذا القلق على كل حال، يمكن لاحدى الخادمات ان تحل محل الآنسة سميث عند الحاجة. وفضلاً عن ذلك، فلا اظن اننا سنقيم في هذا المنزل مدة طويلة.

وسرها هذا الخبر، لأن المنزل يثير فيها الذكريات المزعجة التي من الخير ان تنساها.

وسألته بعصبية ظاهرة:

ـ هل انت على استعداد للذهاب الآن؟ وعدنا والدتك ان لا نتأخر على العشاء. انا اعلم انها ستخرج الى السهرة، ولكنها لا تريد ان تزعج الخدم!

ـ الخدم يقبضون اجورهم، وهي مرتفعة جداً. والآن اود لو تلقين نظرة على غرفنا نحن وتقرري اذا كنت تفضلين اعادة تجهيزها.

ولم تشأ لينسي ان تراها، ولكنها لم تجرؤ على الرفض. وبدأت ترتجف حين دخلت غرفة النوم التي كان يشغلها جرفيس. وتعجبت

كيف انها بقيت تماماً كما عرفتها من قبل.

وقال لها جرفيس:

ـ ربما يؤلمك هذا... فهنا جرى كل شيء، أليس كذلك؟ هنا اخبرتني بانك حامل، ثم بعد ذلك اعلنت انك فقدته وهو جنين. وهنا قررت انني اهملك من اجل نساء اخريات، فعزمت على الانتقام بالهرب مني وحرماني ولدي.

واخذت لينسي تكفكف دموعها وهي تتساءل: هل هناك من طريقة تبرر ذلك الفعل الذي ارتكبته؟

وقالت له بصوت خافت:

ـ انا آسفة يا جرفيس. ليتني استطيع ان اعوض على ما فات. وعلى كل حال، فلك سين الآن...

ـ نعم، وانوي ان انجب المزيد، ولن يكون لك رأي في ذلك ولا في تربيتهم.

وأحست بالألم يسري في مفاصلها وهي تجيب قائلة:

ـ انت لا تريدني الا لشيء واحد...

فقاطعها قائلاً وهو يقهقه ضاحكاً:

ـ لا تغضبي يا عزيزتي. يجب ان تشكريني على كوني اريدك على الاطلاق! والفضل في ذلك يعود الى هذا الرباط الخفي الذي بيننا.

١٠ - المستقبل لم يكن مضموناً والماضي اختفى. وشعرت وهما يقتربان من المنزل انها تعود الى بيتها بعد غياب...

حاولت لينسي ان تبدو غير مبالية، ولكنها عجزت عن ان تقنع نفسها بكلامه، فقالت:

ـ لا اعتقد ان هذا الرباط الخفي الذي يشد واحدنا الى الآخر، والذي تشير اليه، هو رباط في مثل المتانة التي تفترضها.

ـ لا اوافقك على هذا الرأي، لأني اعرف كم تجعلين قلبي يخفق اكثر من اي امرأة اخرى. وهذا، بصراحة، لا يروق لي.

فتمتمت وهي ترتجف تحت تأثير نظراته:

ـ انا واثقة انك تبالغ في ما تقول.

جذبها اليه وامسك يدها ورفعها الى قلبه قائلاً بهزء:

ـ الا تشعرين بخفقانه الشديد؟

ونزعت يدها عن صدره كما لو كانت لدغتها افعى وصاحت به:

ـ لا اظن ان خفقان قلبك الشديد هذا يزعجك كثيراً، لأنه لا صلة له بعاطفة روحية حقيقية نحوي!

فنظر اليها متأملاً، ووجهه خال من كل تأثر، وقال:

ـ ارى ان الكراهية متبادلة بيننا!

ـ ليس من جانبي انا. واذا كنت غير متأكدة من حبي لك في الماضي، فانا متأكدة منه الآن!

ـ وهل تتوقعين مني ان اصدقك؟

ـ اتوقع منك، على الأقل، ان تحاول تصديقي.

- جمالك هو الذي يهمني، لا الحب الذي تتحدثين عنه!

وجذبها اليه وطوقها بذراعيه، فاجابت قائلة:

- اذا كان جمالي وحده هو الذي يهمك، فلن يطول اهتمامك هذا وستضجر مني.

- لا اعتقد اني سأضجر منك ابداً.

وحاول ان يعانقها، فأخذت تقاومه لأن الجرح الذي اصيب به قلبها كان اعمق من ان تبلسمه عاطفة عابرة تطغى عليها كلما لمسها جرفيس.

وقالت له بصوت خافت:

- ارجوك يا جرفيس... امك في انتظارنا، وكذلك الغداء.

فرد عليها بنبرة غاضبة:

- الى الجحيم بالغداء.

وفي مساء اليوم التالي سافرا الى وورتن. وكان جرفيس خرج ايضاً في الصباح تاركاً لينسي نائمة في فراشها من شدة الارهاق لأنه عاد بها الى الشقة في ساعة متأخرة من الليل الفائت.

وعند عودتهما كانت السيدة بارادين سبقتهما بوقت قصير، عائدة هي الاخرى من مأدبة عشاء. وظهر عليها انها كانت غير راضية كل الرضى عنهما، ولكنها لم تصارحهما بشيء. وبعد ان تناولوا جميعاً القهوة وتجاذبوا اطراف الاحاديث قليلاً، ذهبوا الى النوم. غير انه فيما بعد ادار ظهره لها من دون ان يتفوه بكلمة، مما جعلها تذرف دموعها على مخدتها بصمت.

وكانت الساعة بلغت السابعة حين وصلا الى وورتن. وكان سين، كما اخبرهما الخادم الذي فتح لهما الباب، نائماً في فراشه. وساء لينسي انها لم تكن تعرف طريقها اليه، لأنها لم تجيء الى ذلك المنزل سوى مرة واحدة من قبل، وهذا لم يكن كافياً لأن تتذكر جغرافيته.

على انها شعرت، وهما يقتربان من المنزل ذلك المساء، انها تعود الى بيتها بعد غياب. واستولت عليها الكآبة لأن المستقبل لم يكن

مضموناً، ولكنها عزمت على ان تعيش كل يوم بيومه وتحاول ان تتمتع بما هو في متناول يدها. وفي وورتن ستتعود من جديد على المناخ في انكلترا وفصوله الاربعة... الربيع بمطره المبكر واخضرار نباته الغض، والصيف بضيائه الباهر ودفئه، والخريف بفيض خيراته، ثم الشتاء. وخيل اليها احياناً انها تفضل فصل الشتاء، بلياليه الموصدة وراء الابواب وصقيعه وبياض ثلجه الناصع. ومع ان المطر يكاد لا ينقطع، الا ان الحلم كان كذلك.

وكانت لا تزال تتأمل المنزل، حين بلغاه، فاذا هو كالعش بين الاشجار. لم يكن ضخماً، ولكنه على قدر من الفخامة، حتى ان معظم غرفه لم تكن مأهولة، بحيث اكتفى جرفيس بأقل ما يمكن من الخدم.

وقالت له:

- يمكنني ان اساعد في تدبير المنزل، فهذا يشغلني بعض الوقت.

فأجابها قائلاً بحزم:

- لا اريد زوجتي ان تقوم بعمل كهذا. واذا اقتضت الحاجة الى مساعدة، فبامكاننا استئجارها. فالعمال هنا متوفرون.

- الا يكلف منزل على هذا الطراز كثيراً في مثل هذه الأيام؟

فرمقها بنظرة باردة واجاب قائلاً:

- لا ضرر في توفير العمل للعاطلين، وانا ادفع اجوراً مرتفعة!

واكتفت لينسي بهذا القدر من الحديث، مقتنعة بانه ليس من العدل في شيء ان تشغل وظيفة يحتاج اليها آخر، غير انها لم تستطع ان تتصور كيف ستملأ ساعات فراغها. فهي تكره البطالة، وربما كان الأمر اقل سوءاً لو ان جرفيس، يحبها ويقضي بعض الوقت في معاشرتها. اما والحالة هذه، فلم يكن عليها الا ان تنتظر وتأمل. وفي هذه الاثناء امامها مهمة تشغلها بعض الوقت، وهي ان تكتشف المنزل مع سين وتتعرف الى ما يحيط به من جوار. وهذا ما لا يمكن لجرفيس ان يمانع فيه.

وتبعهما الخادم حاملاً حقائبهما، وهما يصعدان الى الطبقة العليا.
وسار جرفيس بلينسي الى غرفة في مقدم المنزل والقى على السرير بالحقيبتين اللتين كان يحملهما وقال للخادم:
ـ هذا كل شيء يا دك، شكراً.
ثم التفت الى لينسي وقال لها:
ـ يجب ان تتعلمي كيف تتصرفين مع الخدم سواء على ظهر اليخت او هنا. هم يعجبون بك، وهذا من حقهم، ولكن عليك ان تنتبهي لئلا يحرجك ذلك...
ولما لم تجب بشيء، تابع قائلاً:
ـ الرجال الذين استخدمهم ليسوا عاديين. والطريقة التي تنظرين بها اليهم هي التي تثيرهم. فأنصحك بان تتحفظي في ما يتعلق بهم وباصدقائي ايضاً.
ولم تشأ ان تتجادل معه حول هذا الموضوع، خصوصاً وانه كان في مزاج غاضب ولا تنفع معه اية حجة. ورأت ان من الأفضل ان تركز اهتمامها على غرفة النوم. وكانت الغرفة واسعة ومضيئة وذات حمام خاص بها. وكان الاثاث قديم الطراز فاخراً، يغلب عليه اللون الاخضر الباهت. ومع انها كانت معدة لتكون غرفة للرجال، الا ان لينسي احبتها كثيراً.
وكان جرفيس، على حين غرة، راغباً مثلها في حل مشكلة غرفة النوم، فقال لها:
ـ هنالك جناح مجاور يمكننا ان نحتله اذا شئت.
ـ كلا، افضل البقاء هنا.
ـ ولكنك قد تجدين هذه الغرفة، على سعتها، اضيق من ان تتسع لنا.
ومد يديه ليساعدها على نزع سترتها. ولامست اصابعه عنقها فتجهم وجهه قليلاً وقال:
ـ هل ستستحمين وتستريحين قبل العشاء؟

غير انها صدته عنها وهي تقول بانفعال:
ـ لا. ليس لدي متسع من الوقت... الم يقل دك ان العشاء في الثامنة؟
ـ يبدو ان لديك هوساً بشأن مواعيد الطعام!
فتظاهرت بالجوع، ثم حاولت ان تحول انتباهه الى شيء آخر فأشارت نحو النافذة وقالت وهي تتلعثم:
ـ أليس هذا المنظر رائعاً؟ سأقوم مع سين بجولة في ارجائه للتمتع به عن كثب. اما الآن فاريد ان اذهب لأرى سين قبل ان اغير ملابسي!
فأجابها وهو واقف في مكانه لا يتحرك:
ـ سترينه غداً، حين يكون علي، مع الأسف، ان اعود الى المدينة. ولكني لا اريد ان تأخذي سين في غيابي الى النزهة وحدك. دعيه يعتاد على معاشرة الآخرين.
ـ هل تعني لكي يستطيع الاستغناء عني؟
ـ نعم. وطالما انت تقيمين هنا، فلن تأخذيه الى اي مكان. واذا دعي الى خارج المنزل، فالآنسة سميث ترافقه عندما لا يكون في استطاعتي ان افعل...
ـ الا يمكنني ان ارافقه حتى في نزهة قصيرة؟
ـ كلا. واذا عصيت امري هذا يا لينسي، فسأجبرك ان تقيمي في لندن، على ان يقيم سين هنا!
فصاحت به والغيظ يأخذ منها كل مأخذ:
ـ كيف تفعل هذا؟ اتقسو علي الى هذا الحد؟
فأجابها وكأنه يتمتع بما كانت عليه من اضطراب:
ـ اظن انه حان لك ان تتعذبي قليلاً!
وحاولت لينسي ان تتفهم موقفه ولكن عبثاً. صحيح انها اساءت اليه كثيراً وجرحت كبرياءه بهربها منه واختفائها على ذلك النحو مدة طويلة، ولكن هذا كله لا يبرر الطريقة التي كان يعاملها بها. كان في

وسعها بصعوبة قصوى ان تتجاهل قساوته، ولكن الى متى؟ واذا طال عذابها، الا يؤدي ذلك الى وقوعها فريسة السقم والهزال؟

واستغنى جرفيس عن التعامل معها قدر المستطاع. وكان يتردد الى لندن اكثر مما قال انه سيفعل في البداية، ولكنه لم يكن يصطحب لينسي معه. حتى انه رفض مرة ان ترافقه الى هناك لزيارة والدته، زاعماً ان والدته لم تكن على ما يرام. وحين استفسرت عن حالها، اكتفى بالقول ان لا شيء يدعو الى القلق.

وحدقت اليه لينسي قائلة:

ـ لماذا لا تقيم والدتك في وورتن بعض الوقت؟ فالمناخ الرائع المنعش هنا لا شك يفيدها، ولا بد انها تشعر بالشوق الى سين.

ـ ستأتي عندما تكون على استعداد.

قال ذلك وامرها بأن لا تتصل بها على الاطلاق!

وبدا للينسي انه قادر على قراءة افكارها بمثل السهولة التي كان قادراً ان يفرض ارادته عليها. انه يمنعها عن الاتصال بوالدته، فهل منع والدته من الاتصال بها؟ وهل يعقل ان تطيع والدته امراً كهذا؟ واذا فعلت، الا يمكن ان يكون اختلق لها سبباً ما؟ ربما، فهو فظ وحانق هذه الأيام الى حد يخيف حتى امرأة صارمة جريئة كوالدته.

وقضت لينسي اوقاتاً طويلة في التنزه سيراً على قدميها. واذا كان اهل الجوار تساءلوا لماذا تكثر هذه المرأة من التنزه، فانهم لم يزعجوها بكلمة، ومن اجل ذلك كانت شاكرة حامدة. وكم كانت تشعر بالقلق من ان يعلم جرفيس بتنزهاتها الكثيرة فيمنعها عنها، وعندئذ تضطر الى التزام المنزل، ولا شيء لديها يشغل نهاراتها ولياليها.

ولم تكن تجرؤ على رؤية سين كثيراً. وكانت تدرك ان الآنسة سميث لا بد من ان تكون في حيرة من تصرفها هذا الذي لم يكن عادياً. ولكنها في يوم من الأيام نسيت حذرها واخذت سين في نزهة بين الاشجار. ولسوء الحظ، عاد جرفيس باكراً الى البيت في ذلك اليوم، فأمسكها بالجرم المشهود.

وكانا توغلا في الغابة الى ابعد من المعتاد. وكان سين تعباً وقذراً ونائماً بين ذراعيها. وكانت هي جالسة على حافة حائط معشوشب، وخدها على رأسه، حين وجدهما جرفيس.

وسارع جرفيس الى انتزاع سين من بين ذراعيها بغضب شديد قائلاً:

ـ يا لك من حمقاء! اذا عصيت اوامري مرة اخرى، فسأرسلك الى لندن!

وفيما بعد، عندما تلفنت والدة جرفيس تدعو لينسي الى زيارتها في المدينة مع سين، حارت بماذا تجيب. وكانت توصلت الى الاعتقاد ان السيدة بارادين لم تقم بأية محاولة للاتصال بها، لأن جرفيس اوصاها بان لا تفعل. اما الآن وقد ظهر لها خطأ هذا الاعتقاد، فاستولت عليها الحيرة. كيف ترفض دعوة السيدة بارادين من دون ان تخبرها السبب الحقيقي لهذا الرفض؟ وكيف تخبر سيدة ان ولدها يحتجز زوجته ولا يسمح لها بحرية التنقل؟ قد لا تصدق السيدة بارادين ذلك، لأن جرفيس، على الرغم من سرعة احتدام غضبه، كان عطوفاً على والدته التي كانت تحبه كثيراً ولا تضع عليه اللوم في فشل زواجه. وكانت تحب لينسي ايضاً، ولكنها خطأتها كثيراً لهجرها بيتها الزوجي.

وتناولت لينسي سماعة التلفون بعصبية وسمعت السيدة بارادين تخاطبها قائلة:

ـ ما لك لا تجيبين، هل انت على الخط؟

ـ نعم، نعم، يا سيدة بارادين... سآتي غداً مع سين، ولكن عليك ان تعديني بان لا تخبري جرفيس... فهو لا يحبذ مجيء اي واحد منا الى لندن... قد يخبره سين فيما بعد بذهابنا الى زيارتك، ولكن جرفيس لا يستطيع ان يلومه.

ـ ولكني كنت اتوقع ان ينقلكما جرفيس الى هنا!

ـ لا، سنستقل القطار... سين لم يركب القطار بعد، ولا شك

انه سيفرح بذلك.

وبالفعل فرح سين كثيراً بركوب القطار، حتى انه اخذ يركض ويقفز في ممراته. ولحسن الحظ لم يكن مزدحماً بالركاب.

ووجدت لينسي ان السيدة بارادين اصيبت، فعلاً، بوعكة قاسية. وحين رحبت بها ترحيباً حاراً، سرها ان ترى سين بصحة جيدة، ولكنها لم تسر بما بدت عليه لينسي من الضعف والهزال.

وبعد ان تبادلتا التحية، قالت السيدة بارادين:

ـ جرفيس يأتي احياناً الى زيارتي. وهو مثلك لا يبدو في صحة جيدة. مزاجه ايضاً متعكر، كما لو كان يرزح تحت عبء ثقيل.

ـ لعل ذلك عائد الى انه يرهق نفسه بالعمل.

ـ كان دائماً واسع النشاط، ولكني لم اره في حياتي كما هو الآن، حتى بعد ان ركنت الى الهرب منه.

وعلى الرغم من هذا الجو القاتم، فان لينسي تمتعت بزيارتها للسيدة بارادين. وكذلك سين. وعندما حان وقت العودة، وعدت السيدة بارادين بانها سترد لها الزيارة حالما تتمكن من ذلك. وجاء الخادم ليعلن ان التاكسي تنتظر عند الباب، فودعاها وخرجا. وفيما هما يسيران نحو التاكسي، فوجئا بسيارة اخرى مقبلة نحو المدخل وهي تقل اوليفيا جيمس.

وحيتها اوليفيا بخبث حين شاهدتها مع سين وقالت:

ـ ها هي العروس التي تركن الى الفرار من عريسها!

وتجاهلت لينسي ملاحظتها وردت عليها التحية بتهذيب قائلة:

ـ انا آسفة... يجب ان لا يفوتنا القطار!

ـ القطار؟ تناولت طعام الغداء مع جرفيس ولم يذكر القطار. وعندما طلب مني ان آتي الى زيارة والدته التي ستكون حماتي عما قريب، لم يخبرني انك هنا...

ـ ربما نسي ان يخبرك... سين لم يركب القطار من قبل، فرأينا انه لا بد من ان يبتهج بركوبه...

ـ اصحيح ما تقولين؟

ـ والآن وداعاً يا آنسة جيمس!

وطول طريق عودتها الى وورتن، كانت كلمات اوليفيا ترقص في ذهنها... غداؤ ها مع جرفيس... زيارتها لوالدته. وخيل اليها ان جرفيس لم يكن صادقاً معها. لا بد انه ينوي الطلاق منها. وهو انما طمأنها الى ان يتأكد من احتفاظه بسين. والا لماذا لا يلمسها بعد في هذه الأيام... كل الدلائل تشير الى انه كان يخدعها، وانها انخدعت لحماقتها.

ووصل جرفيس الى البيت بعد التاسعة بقليل. وكانت لينسي تعلم انه كان في مأدبة عشاء ورجت ان يبيت في المدينة، ولكنه لم يفعل. وفيما هي تجفف نفسها بعد الحمام، دخل الى الغرفة. فارتعبت حين سمعته يقول لها غاضباً:

ـ اذن، ذهبت الى لندن وعصيت امري!

ـ والدتك دعتني الى زيارتها مع سين.

ـ ولكنك لم تخبريني.

ـ لم اخبرك لأنني خشيت ان تمنعني من قبول الدعوة.

ـ نعم، هذا صحيح.

قال ذلك والقى بسترته جانباً، ثم اقبل عليها ولطمها على خدها، فقالت له وهي تشهق بالبكاء:

ـ انا آسفة يا جرفيس.

ـ آسفة؟ انني لا ارى دليلاً على اسفك هذا، ولو لم تتصل بي اوليفيا، لما علمت بذهابك الى لندن!

اذن هي التي اخبرته. فقالت له:

ـ لم اكن اتوقع ان يخفى عليك امر ذهابي، وكنت عازمة على اخبارك به الليلة او غداً صباحاً.

ـ لكن هذا لا يغير الواقع، وهو انك نويت في البداية ان لا تخبريني...

- ربما. وما ذلك الا لأنك تدفعني الى مثل ذلك بتصرفاتك، وخصوصاً في المدة الاخيرة. وانت تكرهني الى حد لم تعد تطيق حتى ان تلمسني!

- وهذا يزعجك، أليس كذلك؟

واقترب منها واخذ بذراعها وهي تصرخ متضرعة ان لا يفعل:

- جرفيس... بربك دعني والا ندمت فيما بعد... اوليفيا قالت...

فقاطعها بعنف:

- اسكتي، لا اريد ان اسمع شيئاً عنها ولا عن اي انسان آخر.

وقالت له راجية:

- جرفيس... الا تريد ان تصغي الي قليلاً؟

- كلا. لماذا اصغي اليك وانا اعلم انك مشتاقة الي بقدر ما انا مشتاق اليك؟

وقاومته لينسي بعض الشيء، غير ان انفاسه الحارة جعلتها تنهار وتغرق في لجة عميقة لا قرار لها. ولم تكن تسمع او تعي شيئاً. وزال كل اثر لمخاوفها ولم يبق سوى الاحلام الجامحة التي تعصف بكيانها.

وعندما تركها حاولت ان تنام ولكن عبثاً. وادركت انها اخطأت حين ظنت ان تلك الساعة التي قضتها معه في وصال تام ستغير في علاقتهما. وتأكدت من ذلك عندما خرج من الغرفة واغلق الباب وراءه قائلاً انه سينام في الغرفة المجاورة لكي لا يزعجها.

ولأول مرة نظرت الى نفسها والى زواجها بمنظار جديد. فاذا كان جرفيس، في البداية، ضاق ذرعاً بها، فلأنها كانت فتاة مراهقة، لم يكن في مقدورها ان تفهم ان نفاذ صبره راجع الى حاجته المتزايدة الى ما كانت تحرمه منه باستمرار. وذلك لا لأنها كانت صغيرة السن، بل لأنها كانت قليلة الخبرة، وهذا ما كان يقلقها دائماً. وكلما كانت تشعر بحاجته اليها ورغبته فيها، كانت تزداد رعباً وتحجم عنه بكليتها، حتى انها اتخذت من موت والديها مبرراً، بينها وبين نفسها، لذلك

الاحجام. صحيح ان حزنها على والديها كان صادقاً، الا انها بالغت فيه عن عمد في سبيل استدرار عطف جرفيس وابعاده عنها.

وكان عليها ان تدرك وتتفهم طبيعته. وهي لو فعلت، لكان شهر العسل الذي قضياه معاً شهر عسل بالفعل. وفضلاً عن ذلك، فاعتقادها الباطل بأن جرفيس كان يريد زوجته ان تكون سيدة مجتمع مخملي، لا حبيبة، كان باطلاً. ومع انه بذل جهداً بالغاً في مسايرتها والوقوف على رغباتها، الا انه لم يحظ منها، لقاء ذلك، الا بالقليل القليل مما يشيع الهناء في بيته والسرور في قلبه. وعندما اكتشفت انها كانت حاملاً لم تفرح بذلك، كما كان من الطبيعي ان تفعل، بل امعنت في استدرار الشفقة على نفسها. ولم يكن اللوم الا عليها حين بدأت عاطفة جرفيس نحوها تبرد والهوة بينهما تتسع. وتساءلت هل ذهبت حقاً الى مكتبه، في ذلك النهار، لتخبره بأنها لم تسقط الجنين الذي في احشائها، ولتشاركه الابتهاج بهذا الخبر السار؟ واظهرت شكها في ذلك، لأنها ارادت استغلال قصة الجنين لاسترجاع عطفه عليها والاهتمام التام بها.

ومما لا شك فيه انها كانت وحيدة ابويها، وهذا ما افسدها وزرع فيها الأنانية. ولكنها حمدت الله على ان ذلك لم ينغرس عميقاً في نفسها، بحيث منعها عن ان تعيد النظر في تصرفاتها وادراك اخطائها. ورأت ان الأوان فات على اقناع جرفيس بانها تغيرت عما كانت عليه، ولكنها على الأقل تستطيع القيام بعمل ما لاصلاح ما افسدته. وقد يكون ذلك في الابتعاد عنه وافساح المجال له للعيش هانئاً مع امرأة اخرى. ربما يصدقها اذا اعلنت له عن اسفها على ما فعلته به، ولكن ذلك لا يعيد الحب الذي قضت عليه، والذي لا يمكن لها ان تعيش معه من دونه.

وكان الليل قارب منتصفه حين غادرت البيت في اتجاه اقرب بلدة في الجوار. وكانت المحطة على بعد خمسة اميال، وأملت ان تستقل القطار الى لندن من هناك. وفي لندن تتصل بجرفيس وتخبره بانها

تركت له رسالة تشرح سبب رحيلها وعزمها على عدم العودة.

كان الطقس صاحياً وصالحاً للسير على الأقدام، فيما اذا لم تجد سيارة تتبرع بنقلها الى البلدة. وهكذا سارت ميلاً بعد ميل وهي غارقة في افكارها وهواجسها، وفجأة شعرت ان سيارة توقفت الى جانبها وهمت بأن ترفض دعوة السائق الى نقلها، غير انها حين تطلعت وقعت عينها على جرفيس.

وقفز جرفيس من السيارة ، وامسكها بذراعها وهي تحاول الهرب، واصعدها الى السيارة وطوقها بذراعيه قائلاً:

ـ ما هذا يا لينسي؟ لماذا تفعلين هكذا بي مرة ثانية؟

ولم تستطع ان تجيب بشيء لشدة الدهشة التي استولت عليها منذ رؤيته، واكتفت بان تعلقت به وهي تقول:

ـ كيف عرفت بذهابي... وكيف تمكنت من العثور علي؟

ـ قرأت رسالتك... لم اعد استطيع ان اتحمل. انا احبك، وحبك يكاد يقتلني وانا اعاملك كما عاملتك... وكنت اتعذب مثلك، ودخلت الى غرفتك لأطلب اليك ان تسامحيني. وهناك وجدت رسالتك، فاستولى علي ما يشبه الجنون... انا لا اريد ان افقدك كما فقدتك مرة من قبل...

وكان جرفيس يتكلم وخده على خدها، وذراعاه تطوقانها، حتى انها كانت تحس بخفقان قلبه على صدرها. ومع ذلك، فلم تستطع ان تصدق ان ما يجري يمت الى الواقع بصلة.

وقالت له:

ـ كيف يمكنك ان تحبني يا جرفيس بعد كل هذا الذي فعلته بك...

فوضع اصابعه تحت وجهها ورفعه اليه. وقال لها بعطف وحنان:

ـ احبك... احبك. وكنت دائماً احبك وسأبقى!

ـ وانا ايضاً احبك يا جرفيس...

ـ اصادقة انت فيما تقولين يا حبيبتي؟

ـ نعم... نعم. لست متأكدة من شعوري نحوك في الماضي البعيد، ولكني اصبحت متأكدة منذ مدة. وكنت اكتم حبي خوفاً من ان تصدمني... وانت متى تأكدت من حبك لي؟

ـ دعيني ابدأ من البداية... لحظة رأيتك وقعت في حبك واردتك لي ولي وحدي. وفي شهر العسل، حين اصررت على التحفظ في اطلاق العنان لعواطفك نحوي، كدت افقد صوابي، حتى انني صرت اقسو عليك من شدة حبي لك. وحاولت كثيراً ان اتغلب على قصورك نظراً لصغر سنك، ولكن طول الصبر كان يعوزني... وفي لندن، حين كنت تنوحين على والديك، كنت متفهماً فداحة فقدانهما، غير ان ذلك لم يمنعني من الشوق اليك. وحين اصبح صدودك لي تاماً، انصرفت عنك، خصوصاً بعد ان ادركت انك لم تكوني تريدين الاحتفاظ بالجنين...

فقاطعته قائلة:

ـ آه يا جرفيس... كان علي ان لا الومك على شيء... اللوم يقع علي انا... لأني كنت افكر فقط بنفسي، لا بك ايضاً. وكنت انظر الى الأمور من وجهة نظري انا فقط، ولم آخذ وجهة نظرك بعين الاعتبار...

وتوقفت عن الكلام قليلاً لتستقبل عناقه بملء كيانها، ثم اعترفت له قائلة:

ـ حين علمت اني حامل، هرعت الى مكتبك لأخبرك، فوجدتك تعانق اوليفيا جيمس. فجن جنوني، ولكن لو كنت فتاة ناضجة في ذلك الوقت، لامتنعت عن الهرب الى الجزيرة. كان قلبي يتمزق، غير ان ما دفعني الى الهرب هو كبريائي ورغبتي في الانتقام منك!

فتجهم وجهه قليلاً وهو يقول:

ـ وجدتني مع اوليفيا... آه يا الهي... ليتني علمت ذلك في حينه! كانت مسافرة الى اميركا لسنتين، وكنت اعانقها مودعاً، لا اكثر ولا اقل. ولو انك اخبرتني لشرحت لك الامر...

ـ اخطأت في ذلك... والآن ما مضى مضى.

وتابع جرفيس كلامه قائلاً:

ـ عندما لمحتك على شاطىء الجزيرة لم اصدق عيني. وكل ما فكرت فيه هو الانتقام منك. وساورني الشك حين لاحظت انك كنت مذعورة مني اكثر من المألوف. فتساءلت هل كنت يا ترى تخفين عني شيئاً؟ ولما اكتشفت انك لا تخفين صديقاً بل سين نفسه، استولت علي الدهشة واصبحت اكثر غضباً مما كنت في حياتي كلها.

ـ ظننتك غادرت الجزيرة...

ـ كلا. تظاهرت بمغادرتها. ولم يكن معقولاً ان اغادرها واتركك هناك. وتأكدت من ذلك بعد ان دعوتك الى اليخت، ثم الى غرفتي. ولما اكتشفت وجود سين كان الغضب والنقمة لا يزالان يتأججان في صدري، ولكنهما كانا مشوبين بالفرح العظيم، ولو انه كان في وسعي ان اقتلك لانك اخفيته عني.

فأجابت لينسي قائلة:

ـ اخفيته عنك لخوفي من ان تنتزعه مني.

ـ الحق معك، ربما كنت فعلت ذلك.

ـ اذن، اتعذرني؟

ـ نعم، يا حبيبتي... وسأحتفظ بك مهما كلفني الأمر.

فنظرت اليه نظرة ملؤها الحب وقالت:

ـ لا اريد منك شيئاً يا جرفيس. كل ما اريده هو ان تحبني وان تحتفظ بي الى جانب سين. واذا كنت شككت في حبك لي، فاعذرني ايضاً.

ـ اعذرك اذا كنت تسامحينني على القساوة التي عاملتك بها في الأسابيع الأخيرة.

ـ دعنا ننسى الماضي يا حبيبي ونبدأ حياة جديدة...

وفيما هما عائدان الى بيتهما في وورتن، احتمت به لينسي وطوقته بذراعها وهو يقود السيارة. وشعرت بفرح وحنين الى سين وبيتها الزوجي الذي عزمت ان تبذل جهدها لتجعله سعيداً.